خلف أبواب القدر

مجموعة قصصية

مجموعة كتاب

دار بيوند للنشر والتوزيع

obeikan.com

دار بيوند للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

الكتاب: خلف أبواب القدر

المؤلف: مجموعة كتاب

تصنيف الكتاب: م.ج. قصصية

تصميم الغلاف: محمد علي

إخراج داخلي:

المقاس:20*14

رقم الإيداع:

الترقيم الدولي:

رئيس مجلس الإدارة

محمد عزالدين

المدير العام

صبرينة غلمي

All Rights Reserved
Beyond for Publishing and Distribution
+2 01095600007
beyond.dbh@gmail.com
www.facebook.com/beyond.PDH
جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

obeikan.com

obeikan.com

obeikan.com

ثغر الأندلس المبتسم

الأمير فتحي عزام

obeikan.com

obeikan.com

خطوات الانكسار الثلاث خطاها، وهوى بجسده الوهن يسنده جدار السجن البارد، الألم الذي أسقطه مضى يمزق جسده قطعة قطعة حتى أصبح كالخرقة البالية.

حاول الدمع أن يعبر عن مدى ألمه ويأسه، لكن جفاف الحلق أبى أن يخرج قطرة واحدة؛ فلم يتذوق الماء منذ يومين، ودمعه جف فتحجرت عيناه.

(سلطان) ابن (الشيخ نعمان) شيخ الجزيرة الخضراء، ينظر إلى خيط من نور قادم في ظلمات السجن، يتذكر الفانوس المعلق على باب بيتهم، يتذكر دليل العزة دليل علي أن في هذا البيت شيخ حافظ للقرآن.

يسوقه لذكريات مشوشة بغشاوة بيضاء، تغطي عينين ذابلتين... يتذكر الجزيرة الخضراء، التي نبتت على جنبيها البيوت البيضاء، ونوافيرها تعلقت حولها زهور الياسمين..

الجزيرة التي تقع على بعد ستة أميال إلى الغرب من جبل طارق، حاصرتها مياه البحر وجيوش جرارة، ذاقت فيها جيوش أوروبا ويلات الحرب.

سنوات الحصار الثلاث كانت كفيلة لبث الرعب في قلوب حكام أوروبا... تلك الجزيرة الصغيرة من مقاطعة قادس في الأندلس، لم تذب أسوارها بين أيديهم، وظلت تؤرقهم، وتقض مضاجعهم حتى سقطت بعد ثلاث سنوات من سلسلة الحروب الطويلة التي سميت بحروب الاسترداد...

أحلام اليقظة التي تنزف في جوف سلطان تقشر ما تبقى من تلك القشرة الرقيقة لحلاوة كانت يوما في أيامه.. ماريان التي علمته فنون العشق في رقتها... طفق يرقب الحركة منها والهدأة...

علمه حبها أن يختلس النظرات...

ويحصي رمال الطريق عددا...

ويرقب أعين أناس الحي...

ويسجنهم بين قضبان الغيرة...

علمه أن يرفرف قلبه مع غطاء رأسها البيضاء وشعرها الحريري...

لـم تكـن لتفـارق ناظريـه وهـو لا يصـغي لأحاديـث الشـيخ نعمـان وأبيهـا الطبيب الأعظم بولس... ما كان يشده فقط وقفتهما الطويلة عند آيات المودة والوئام...

وخـز الألـم ولحمـه المقشـر يحملـه على كفـه، وسـياط التعـذيب تلهـب جسـده السـقيم... كما ألهبه تعـذيبها لقلبه وطيفها ينسـل من جسـدها، يراقص جنونه وهي تميل بجذعها إليه حول النار التي جمعت الكثيرين في ليل بارد، ما يرده سوى خجل يطفو إلى عينيه.

الصرخات من حوله...

الألم في جسده...

ظلمة السجن...

الدماء تغلي في مراجل الرؤوس...

الشواء البشري...

اللحم الممزق...

العظام المتكسرة كالهشيم...

اللوحات الزيتية من حوله بلونها الأحمر، لم ترسم سوى حقيقة أشلاء بشرية رصفت بها أرضية كل مكان يُرصد فيه البشر... وأطعمت للكلاب...

فوق مسامات الروح... يخلد بآلامه وصراخه يمد للفزع مدادًا ومدادًا... وأيّ له من مجيب غير ما بقي من جسد...

الجوع والعطش وما نهب الجسد، جعله ينازع تلك الرغبة في العيش، كما نازعها سجين مثله فأكل من لحم اخيه... وشرب من دمه كما فعلت الكلاب.

عندما تنعدم الرحمة وتقطع حبال الأمل، يصبح الموت هو الرحمة التي ينشدها الكثيرون وقد ظل صفير إناء النحاس المملوء بالزيت فوق الموقد وناره ترسل ألسنتها كما هي فقاقيعه تنتظر الجسد الجديد...

الخيط الفاصل بين الحقيقة والوهم يوقظ لهفة نفسه لمعشوقه... ماريان التي تطفو مراكبه في بحرها العذب، وذلك العالم الوردي الذي كان يقيم بنيانه؛ فانهدم حجرا حجرا...

- سلطان يريد ماريان زوجة...

يحاور أباه يستجديه

يقرأ الشيخ نعمان على ولده آيات من القرآن؛ لعل اللعنة تخرج منه... يقلب بعينيه ولده الماثل أمامه كتمثال من جبس، ويردد: ماريان؟ أجننت؟؟!!

يخرج القلب المعذب عن صمته، وينحت لسانا لتمثاله وينطق متعجبا:

- أبي أتعجب من أمر الله فيّ؟! أزواجي يذهب العقل؟!

يستجمع الشيخ البائس قواه، ويندفع إلى ولده الذي أصم أذنيه... وهو يمسك بكتفي ولده وبزفرة عميقة:

- أستحلفك بالله يا ولدي أن تبعد عنك هذا الهاجس؟ لا بد أنك تتوهم؟ قل يا ولدي أنك كذلك؟ سأزوجك أجمل جميلات الجزيرة الخضراء، بل قادس بل الأندلس بأكملها؟ قل إنك تمازحني وارحم كبري وضعف حالي!!

أذابته كلمات والده الشيخ، ولكنه ظل متسمرًا في بقعته، وهو يبتلع الدموع والكلمات:

ـ لِمَ أيها الشيخ المؤمن تحرم ولدك الوحيد من حلمه، وتحكم عليه بالموت حيًا؟ لِمَ تسوقني إلى هوة العذاب، وتطلب مني أن أرضى بالنصيب؟!

يسير الشيخ مبتعدًا باحثًا عن شيء يتوكأ عليه بجسده، وهو يصفق جنبيه محوقلا

- تسأل وكأنك لا تعلم عاقبة أمرك وأمرنا؟!... الفتنة يا ولدي ما تنوي أن تحرقنا فيها... ألا تعلم أنها إن أصابت قومًا أحرقتهم؟

- الزواج ليس بفتنة يا أبي الزواج عصمة لي ولها.

- الزواج عصمة يا ولدي، إن كان هناك توافق بين الاثنين، في الدين والملة والثقافة والفكر والمال.

- إذن يا أبي أنت تعتقد أن بزواجي بمسيحية ستكون فتنة تدمر جزيرتنا؟

- أنت تعلم يا ولدي، ما تمرُّ به الأندلس في هذا الوقت من ضعف وحروب باسم المسيحية، وإجبار على التنصير، وتأتي اليوم وكأنك لا تعلم شيئا.

- بالعكس يا أبي، إني أنظر للأمر على أنه درء للفتنة، جامع للقلوب بإخاء ومحبة، ووحدة للمسلمين والمسيحيين على حد سواء.

- يا ولدي الأمر ليس كما تقول، افهم الأمر جيدًا واعقله... بزواجك من مسيحية يجعلك متهمًا بأنك ستأخذ منهم امرأة وأولادها إلى دينك، وهو لهم كمن فرط في أرضه وعرضه برضا.

- أبي لقد اتفقت وماريان وتعاهدنا أن نبقى معًا، ولن يفرقنا أحد، وستقف أمام أبيها الطبيب بولس، وستواجه رفضهم بشجاعة... وها أنا ذا بين يديك أناقشك... ولن أتخلى عنها مهما كان الأمر.

- إنك تجادل ولا تناقش يا قرة عيني... امرأة أحببتها وأذهبت عقلك.

-لا يا شيخ نعمان، لا يا أبي. لم تذهب عقلي... فقد علمتني أن ديننا مودة ومباح للمسلم أن يتزوج من أهل الكتاب.

- نعم يا ولدي حلال شرعًا، ولكنه ليس مستحبًا، لأن هناك صغارًا سيولدون... قل لي بالله عليك على ملة من سيكون أبناؤك؟؟ وإن كانوا على ملة الإسلام فهل سترضى أمهم؟ وإن رضيت... فهل فكرت في

مشاعرنا؛ هل فكرت بهذا الجد البائس؟! أتوسل إليك يا ولدي أن تصرف عنا هذه الفتنة ودعك منها.

- أبي لَمَ لا....

صوت طرق مفزع على الباب، يقطع آخر كلمة كان يود قولها لينتهي الأمر... ولكنه أنبت الذعر في قلب أبيه، وقد هوى قلب الشيخ إلى أخمص قدميه...

سلطان بابتسامته التي رسمها على وجهه يقول: أبي إنه ليس (الفونس) حاكم فستالة، بل هي أمي زوجتك، ألم تعتد الأمر بعد؟

الابتسامة التي ارتسمت على وجهه، وهو بين شقي العذاب... جعلته يلتقم جنونه أعادته من أحلامه...

. ما بك أأصابتك حمى الجنون؟!

هذا السؤال أطفأ تلك الابتسامة التي رسمها سلطان على وجهه وأعادته، لحمى التعذيب في سجن بلغ فيه الفزع والجنون مبلغه... أمال برأسه ليرى رجلا في العقد الرابع من عمره، يطيل إليه النظر، سرى الشك في نفسه وقد ارتاب بمنظر هذا الرجل ذي الشعر الأشقر،

الذي لم تظهر عليه علامات التعذيب، فرسم دوائر شكه بأن يكون هذا الرجل جاسوسا للكنيسة؛ ليعرف من تنصر منهم ومن يخفي إيمانه، ويظهر الصليب أمام أعين الحراس... أو ربما حارسا سيكيل له فيما بعد العذاب.

لم يعرف سلطان أن هاتين العينين الصغيرتين كانتا ترقبانه منذ قدومه لهذا السجن... ما تعجب منه هو الوشم على كتفه لصليب صغير..

حاول سلطان أن ينأ بنفسه عن هاتين العينين المعلقتين به... لكن صاحبهما وضع يده بلطف على جسد سلطان المليء بالجروح والقروح... ظل سلطان منكمشًا على نفسه رغم وجعه، وأبقى صرة عينيه على ذلك الوشم في كتف ذلك الغريب.

بصوت رزين هادئ وكأن شيئًا مما هم فيه من فنون التعذيب لا يعنيه قال: أنا القس يوحنا قس طليطلة...

انزعج سلطان وأصابته رعشة سرت في جسده الهش، وعقله لم يستطع سوى التكهن بكذب هذا الرجل... فأيُّ أخرق هذا الذي

سيصدق أن قسًا نصرانيًا بينهم... وإن كان كما يقول فأين آثار التعذيب؟!

- هل تسخر مني أيها اليوحنا؟!

ابتسم القس وأسند ظهره إلى الحائط ليلاصق كتفه بكتف سلطان، الذي اندلعت في جسده حمى الألم والخوف معًا.

أتاه صوت القس من بئر عميقة، وهو يلامس بكلماته شغاف القلب...

- مسلم ومسيحي... بعقيدتين... نكفر بعضنا... ونئن بذات سياط التعذيب. وقد ربينا معًا ومشينا في ذات الطريق، وأكلنا من نفس الطعام واحتسينا الماء معًا، لم يكن يومًا يأتي بخاطر أحد منا أن نقتل بعضنا بعضا بسبب اختلاف العقيدة... وبعدئذٍ نقتل بعضنا باسم الرب... وباسم الدين... وباسم العقيدة... لكنك لا تعلم أننا نقتل باسم الرغبة، الرغبة في السلطة، والرغبة باسم الحرب... الحرب باسم الأرض...

جاءت كلماته وكأنما تطهر تلك الجروح التي مرت على جسده كالطاعون...

- ما الذي تقوله أيها القس...؟ أهو وقت الخطب والمواعظ أم تراك عاشق لفكر الحكمة والفلسفة...؟!

تنهد القس وتمتم: ربما من عشقي للفلاسفة العرب... أتعرف أنني لم أُخفِ يومًا انبهاري بحضارتكم الإسلامية؟

- قل لي بربك لِمَ أنت هنا؟!

- أيمكن أن يكون خادمًا للرب وقاتلًا في نفس الوقت؟! إن الرب محبة، والمحبة لا يمكن أن تستلذ بطعم الدم... حملات التنصير والتعذيب والقتل كلها خارجة من قانون الرحمة والمحبة، إن الرب ينظر لقلبك الصغير، وليس لزينة وجهك... والقلب الصغير يجب أن يكون مليئًا بالمحبة.

- يا إلهي كل الأديان أرسلت رحمة للبشر.. يا لعظمة الله.

- ولكن إن كنت حقا كما تقول لم يعذبك هؤلاء؟؟!

- آه يا أخي... من تراهم أمامك ما هم سوى منفذين لأوامر باسم الحاكم واسم العرش، وويل لمن نصَّب نفسه إلهًا يقيم الباطل باسم

الحق... وهؤلاء الجنود يعرفون أن الدين حق والقس يوحنا هو مقيم لدين الحق...

فلم هو هنا؟!

هؤلاء يدركون أن هناك خطأ ما... لكنهم لا يعرفونه... وأنا على يقين أنهم لو عرفوه لرفضوا استبداد الحاكم وظلمه بي وبك.

هؤلاء هم عبدة الحاكم، هؤلاء هم من يشعلون نار الجهل في كل مكان.

- صدقت يا أخي... وهؤلاء يشفقون عليّ بإطعامي ولكن إلى متى سيطول الأمر؟!

- يكفيني أني أعرف نهايتي... إلى قبر يؤويني وأنا على ديني... ولئن فارقتني جنة الدنيا فعند الله الجنان.

ابتسم القس يوحنا وأومأ برأسه: نعم صدقت... إنها الجنان.

obeikan.com

الرهبان بردائهم الطويل، وأقنعتهم التي يرتدونها على الرؤوس؛ فلا تبين وجوههم، تشبه قرطاسًا مدببًا له فتحتان عند العينين؛ كي يرى منهما الراهب، تتلون تلك القراطيس بألوان الأحمر والأبيض والأخضر.

يسيرون وهم يحملون الإنجيل والصلبان، بين جثث القتلى والمعذبين بخطوات وئيدة، وتراتيلهم تصدح في عتمة السجن، مختلطة بصرخات التعذيب.

يساق إليهم الكثيرون، فيخيرونهم بين دين الكنيسة وبين الموت... بين أن يكفروا بمعتقدهم أو يقتلوا بآلة التعذيب.

الكثيرون ممن تاهوا في دنياهم واختلطت عليهم الصور، فضلوا البقاء الآمن فأعلنوا تنصرهم وآمنوا بدين الكنيسة... لكنهم كانوا أول من سيق إلى فنون العذاب...

منهم من دقت أجسادهم على الجدران بمسامير في أطرافهم...

ومنهم من صفيت دماؤهم...

ومنهم من مزقت أحشاؤهم...

ومنهم من أحرقوا وهم أحياء...

وبقي الرهبان بتلك الفتحتان، ينصتون برهبانية للصرخات التي تزيد من تراتيلهم، وهم يقرون بقانون الرب... وقد وقف السجناء ممن ألفوا العذاب، واستعصموا بأمر الله صفًا واحدًا، وقد غابت صورة القس يوحنا عن أنظار الرهبان.

سلطان... لم يعد يرى سوى نهايته لكنه كان يأمل أن يمنح ما تبقى له من حياة للقس، فوقف صلدًا منتصبًا رغم ما به من سقم..

بدأ الجنود باختيار خمسة من السجناء الممتلئة أجسادهم؛ لاقتيادهم إلى الخارج.

ساعات من التعذيب للأجساد الخمسة، مضت بمضي الرهبان، وهم يرتلون أدعيتهم للرب بالغفران...

لم يكن الخوف ليفارق سلطان والقس يوحنا، رغم مغادرة الرهبان السجن... كان يمكن لهما أن يبتلعان مخاوفهما، ولكن اقتراب حارس قوي البنية منهما؛ جعل سلطان يطيل في قراءة آيات من القرآن... لم

يفتح عينيه وأصمّ أذنيه، جلوسه إلى جانبهم لم يكن مفهومًا... تفقده لتلك الكدمات الخفيفة في جسد القس يوحنا... دموعه التي ذرفها في صمت... أسفه الحزين:

سيدي وابن سيدي، أطلب منك الغفران، أنت تعلم أنني مجبر على ذلك.

- أعلم جيدًا صديقي العزيز وسأطلب الغفران لك من الرب.

المشهد الذي أصاب سلطان بالدهشة جعله يخرج عن صمته.

- صديقك... هل الحارس صديقك؟؟

دهشته اختفت مع الشرر الذي رآه في عينيّ الحارس، والذي لم يكن سوى وعيدًا بالانتقام... لكن القس ربت على كتف الحارس وأخبره أن سلطان صديق له.

وقال بصوت خفيض:

سلطان لم يفعل لي ولك وللرهبان شيئًا، وكذلك المسلمون الذين سكنوا هذه الأرض وحولوها إلى جنة خضراء... لكنهم لم يحافظوا على

نعم الرب بل فرقتهم أطماعهم، وأطلقوا العنان لأمانيهم التي أهلكتهم... ولتعلم يا صديقي المسكين أن سلطان هذا أخي في دين السماء لن أتخلى عنه ما حييت...

- أيها القس سيدي وابن سيدي... سأكون حارسك وحارسه بأمر الرب... لقد جئتك بخطة للهرب من جحيم العذاب...

كان لهذا النبأ وقع الصاعقة على سلطان والقس يوحنا، الذين عقدت المفاجأة لسانيهما... حتى خرج القس عن صمته، وقال بصوت قد جف ريقه:

خطة للهرب؟! كيف هذا؟ هل جننت؟! سيقتلونك.

- أتحدثني عن الموت يا سيدي، وأنت تعيشه في كل لحظة ولا تخشاه؟! كيف لي أن أكون أشجع منك وأنت اخترت الموت ولم اختره...؟!

- أنت الحارس، فأنت تمتلك الحياة والمستقبل، أما نحن فننتظر الموت.

قاطعه الحارس بدهشة: تتسابق أنت والمسلم إلى الموت، وهناك خلاف بينكما وقد يكون لكما نصيب في الحياة... واعلما أن لكل أجل كتاب، فلتهدئا فالأمر كله للرب...

- صدقت أيها الحارس إنك لتنطق بالحكمة، فالحياة لا قيمة لها، إن لم نر الموت في نهاية طريقنا... وليمنحنا الرب الصبر.

نظر سلطان إلى القس بعد أن أنهى حديثه، وابتسم وهو ينظر مليًا إليه: تبًا لفلاسفة العرب لقد جعلوا من كل فرد في الأندلس فيلسوفًا.

الضحكات التي علت على استحياء في عتمة السجن من أولئك الثلاثة الذين تعلقت آمالهم بالرب، سلطان الذي سجن لأنه عشق وأراد السلام... والقس يوحنا الذي سجن لأنه أراد أن يرفع الظلم لأن الرب محبة... والحارس الذي حمل روحه على كفه محبة للرب...

في النزر الأخير من المشعل رسم الحارس خطة الهرب.

القلعة المطلة على البحر، فيها الكثير من الحجرات، حجرة واحدة كانت تعنيهم، وهي حجرة الحراس... وفيها منفذ يطل على البحر، ويبعد عن سطح البحر قليلا، ولكن يمكن لهما النفاذ منها... عليهما أن يتبعا خطته بحذافيرها..

غـدًا عنـدما تمتلئ السـجون بـالكثير مـن المسـاجين الجـدد، سـيطلب الحارس من أحد أصدقائه من الحراس، أن يدخلهما إلى غرفة الحراس بحجة امتلاء السجن.... ومن هناك ستكون فرصتهما للنجاة...

أسـرّ ثلاثتهم مخـاوفهم وهـم يقلبـون بين يـدي المـوت... تـارة في السـجن وتارة للهروب منه...

الأدعيـة التي كانـت تشـق الجـدران الكلسـية، والتي سـكنها الخـوف والجزع، ودفع بالكثيرين فيها إلى الموت بالمجان... كانت تحلق في السماء الباكية، وقد سكنتها سحب سوداء اعتصرت لدعوات الكثيرين...

- اللهم أكرمنا ولا تهنا...

- اللهم فرج كربنا، ويسر أمرنا...

- اللهم قربنا إليك...

- اللهم لا ملجأ منك إلا إليك.

الصـلوات والأدعيـة المرسـلة إلى السـماء، لـم تكـن تفـرق بـين صـلاة مسيحية أو يهودية... كلها كانت للرب...

الخيوط الأولى من الفجر نسجت ثوبًا مليئًا بالأمل ومعشقًا بالخوف...

هل يتهادن الموت والحرية؟؟

هل سيزفون إلى أحلامهما بالنجاة؟!

إيمان ترسخ بقلب سلطان بأنه خارج اليوم لا محالة، سيغادر أسوار هذا البلاء بعد ساعات معدودة... وسيحمل كفنه بيمينه إما إلى قبر وإما إلى بقاء.

الخطة التي رسمها لهما الحارس سارت كما خطط... الوجوه الحزينة التي ألقي بها إلى غياهب السجن كانت تستجدي رحمة السياط وتئن من لهيبها...

كيف للحزن والفرح أن يجتمعا معا في نفس سلطان... الحزن على أبناء دينه، وهم يساقون إلى العذاب سراعًا... وفرحه لحبل النجاة التي ألقيت إليه من السماء...

القلق الذي ارتسم على وجه القس يوحنا ظهر جليًا لسلطان... فجعل يقلب المكان بعينيه باحثًا عن صديقهما الحارس الذي لم يظهر بعد... والسؤال الذي يدور في بالهما...

- هل انكشف أمره؟ هل قتلوه؟!

صوت أحد الحراس جاءهم جليًا وكأن ساعة الصفر قد حانت...

- السجن يكتظ بالبشر، علينا التخلص من بعضهم ...

أجابه حارس آخر: وماذا نفعل؟

جاء جوابه بضحكة مجلجلة أوهنت مفاصلهم: الأمر بسيط... الأسود والضباع وأيضا الكلاب لم تتناول فطورها بعد.

علت قهقهة الحراس وهم يتبادلون عباراتهم الساخرة...

- كنت أتمنى أن أحضر لها وجبة شهية وطازجة من هؤلاء الثمانية من موفوري الصحة واللحم... لكنك تعلم أن الرهبان يريدون التمتع بتعذيب هؤلاء المرتدين، لذا سأختار من هؤلاء المنزوع من لحمهم ليكونوا وجبة الأسود والضباع.

أخذ أحدهم الكثير من السلاسل الملقاة على أرض السجن... المقيد بها السجناء، وجرّ خلفه عددًا منهم وهم يجرون السلاسل في أيديهم... ومضى بهم خارج السجن...

كان من بينهم القس وسلطان مكبلين بالسلاسل من أقدامهم، ينزع جلد ظهورهم قطعة قطعة بالاحتكاك بأرض السجن.

ابتسامة علي وجه سلطان، ألم وحسرة علي وجه القس، تحول إلى تعجب من ابتسامة سلطان، نظر إليه تبادل سلطان معه النظر، رأي نظرة تعجب في وجه القس، تتطلع سلطان إلى السماء، أشار بإصبعه إلى السماء، تفهم القس الإشارة؛ إنه ينظر إلى الله يعلم أنه اقترب من لقاء الله، فرح بلقاء الله، أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه.

السلاسل التي لا يسمع سوى صوتها كانت تسيرهم إلى حيث لا يعلمون... زئير الأسود ونباح الكلاب كان يهفو إلى أسماعهما... حتى اقتربوا جميعهم من الفرجة في نهاية الدهليز الطويل... حيث كانت الضباع والأسود والكلاب تنتظرهم اللعاب يسيل من أشداقها...

الأنفاس القليلة التي حبساها في رئتيهما كانت قبلة الحياة الأخيرة...

توقفوا جميعهم صفًا جانب الجدار، وكان الراهب وحارس آخر يشير بيده إليهما...

- سيكون الدور عليهما أدخلهما إلى ذلك السبع، الذي للتو انتهى من الحارس الخائن... لعلهما يقضيان ساعات جميلة معه... الرعب الذي ستعيشانه ستحيكانه لي في الآخرة...

صمت قليلًا ثم أردف: وكيف سألتقي بكما... فأنتما في جهنم وأنا في الجنة... لا بد أن الشمس الحارقة هذا اليوم أفقدتني صوابي...

وما أن انتهى من كلامه؛ كان الحارس قد ألقى بهما في غرفة، يرقد فيها سبع قد أرخى جفنيه وبقربه كومة من العظام...

المنفذ الصغير كان يحمل إليهما كومة من أشعة الشمس ونسيم البحر... ورائحة الملوحة... وصوت البحر...

الهاجس الذي تملك كلًا منهما؛ بأن كومة العظام تلك لم تكن سوى للحارس المسكين... نظرات السبع الرابض في أرض الحجرة ابتلع هواءها، وبقيت أوصالهما ترتجف منتظرة أن يفيق من شبع إلى جوع فيلتهمهما على مهل.

اللحظة التي تلامس خط النهاية جعلتهما يلتهمان الفزع، ويسقطان تلك القشة بعد أن سقط حبل الأمل من السماء...

. مرحبا بكم أيها الأصدقاء لقد انتظرتكم كثيرًا... جاءهما صوته وكأنه غيث فأحيا الأرض بعد موتها...

فزعوا ظنوا أن السبع يحادثهم، لكنهم وجدوا الحارس يجلس في جانب الحجرة يحادثهم...

لم يكن أمام ثلاثتهم الوقت الكثير ليضيعوه... فكان عليهم أن ينفذوا الجزء الأصعب منها... وأمنية عالقة بين السماء والأرض، بأن يتم كل شيء ولترحمهم السماء...

السياج الحديدي الذي يسد المنفذ الصغير كان جاهزًا لتتم إزالته، فقد كان الحارس الوفي قد أمضى ليلة في إزالة مسنناته التي تقبضها الجدران... ولم يكن عليه الآن سوى أن يزيله من مكانه... ودع الحارس السبع وهو يحضنه، وقد خيّل إليهما أنهما قد رأيا دموعًا تترقرق في عينيه.

نظر إليهم الحارس ليزيل الغموض المرسوم أمامهم:

إنه صديقي لا تخافا، لقد ساعدني في نزع هذه السياج.

الأجساد الثلاثة التي ملأت رئتيها بالهواء المحمل برذاذ البحر.. أسقطت نفسها في البحر العميق...

لم يكن أيٌّ منهم يعلم إن كان البحر سيكرم ثلاثتهم؛ ليحملهم بلجته إلى مصر، حيث يمكن لهم أن يعيشوا سويًا كشعب واحد... لا يُظلم فيه أحد... كما عرفوا عنه إكرام الأقباط واحترامهم....

شعلة الأمل التي أضاءت صدورهم، كانت تحمل حنين الرغبة... الرغبة في العيش بوئام.

تمت

obeikan.com

فأر أسور

رولا حسينات

obeikan.com

obeikan.com

السَكْرَة هي أساس الملك، والجوع ركنها الأساسي، هما فقط من يجعلان الشعب كله في محرقة واحدة اسمها الحاجة... لتشتعل المدينة بهذا الجمر البارد... فما زال لديهم الكثير من الوقت قبل أن يفكروا بمفهوم الانتحار... فالمسمى ليس مدرجًا في قواميس الشارع بعد... الموت مهما اختلفت صوره يبقى موتًا، ولكن الرسالة التي يحملها هي التي يمكن أن تغير الصورة... البراكين الخامدة لا تعيد الحقوق ولا تشبع البطون، ولكن القطر المتأجج غضبًا في القدر قد يفعل غير ذلك... لن يمنحه هيجانًا فقد أصبح كل ما لديه مجرد ماض... وإن استحالت الذكريات حاضرًا جبانًا، وإرادة حبلى بالهزائم...

ضئيلة كما المشاعل الموقدة عند البيوت المعلقة برحمة الجشعين... تنطفئ عند هبوب النسمات التي لن تأتِي يومًا...

اجتماعهم في بيت

صديقهم كامل، جعلهم يفكرون بصمت أكثر من اشتهائهم لنطق الكلمات، فكانت تؤرقهم تلك الجدران الإسمنتية، التي يمكن أن تفضح نواياهم، ولو بشق رفيع في الجدار ربما نسوه وربما لم يروه...

الكثير من النهايات على أعواد المشانق، كانت من غلطة بسيطة لا تكاد تذكر، لكنها رغم بساطتها حققت نهاية مفجعة لأولئك الأحرار، الذين يسيرون على خطاهم، ومن لم يمت بعد ظل محشورًا بين أربعة جدران بمتر أو متر وربع، لا يستطيع النوم إلا متكومًا على نفسه، ولا يقضي حاجته إلا في إناء طعامه، وتمرُّ عليه الكلاب كل يوم في مبولة سجنه... ثم يساق ليعلق على الجدران بقيود تنتهي بسلسلة طويلة، فيها ثقل حديدي يطوي اليدين المثبتتين في الأعلى إلى أسفل، فلا يستقيم مدها على استقامة مع سحقها...

والألم هو النتيجة، والصرخات هي الموسيقى الرسمية في أقبية السجن، وفي ساحاته فنون التعذيب لم تتوقف عند آلة التأديب، بل امتدت إلى آلة الاستمتاع، وإلى بث الرعب في أجنّة النور، التي لم تستطع بناء أعشاشها فوق تلك السجون الكئيبة، المطّلة على البحر فوق منحدر صخر يخطر...

لم يستطع أحد النجاة منه، ولو قدر له لقضى بسبب أو بآخر... النجاة من التعذيب حلم معلق بحبل بين السماء والأرض.

والكثير وتطفو أحلامهم مع أرواحهم إلى حيث تحبس في قوارير تلقى في مياه البحر، يحملها موج من فوقه موج، وتسير إلى البعيد دون انتشلها شبكة صياد، أو صنّارة تائهة بعيدًا عن المنطقة المحرمة، وهي منطقة محيطة بالسجن لأميال بحرية، لا يمكن لأحد الاقتراب منها... ومهما يكن نوع الغياب فهو وحش لا تشبعه الأجساد الصغيرة...

هذه الحقائق يعرفونها جيدًا، فهي تحفر في أذهانهم مشاهد لا يمكن نسيانها، رغم أن ذاكرتهم الصغيرة لم تعد صالحة لمزيد من المآسي، لامتلائها بالكثير منها، والتي لم تكن حكرًا على أصدقائهم ممن عُذبوا، بل كانت كذلك لأولئك المسحوقين من سكان مدينتهم، التي امتدت بخط رفيع إلى حيث لا يفصلها شيء عن المدن الأخرى... غير أكوام من الأسلاك الشائكة، والأسيجة الكهربائية الممتدة على طول الحدود، لم تكن سماؤهم بأفضل حال منذ لك، فقد كانت تملؤها كرات دائرية الشكل لها اللون نفسه أحمر داكن ،قد رصفت بها السماء... لم تستطع أن تبني الطيور أعشاشها فوقها وإن حاولت؛ سقطت محترقة إلى الأرض المزروعة بالكثير من المدرعات والآليات الحربية، التي لا يستطيعون معها الرؤية أبعد من أخمص قدمهم...

طوابير الخبز كانت تقف أمام وحدة عسكرية للتفتيش، وتصادر منها أرغفة بحدود الرغيف الواحد أو الاثنين أو الثلاثة، أو ربما تصادر الأرغفة الثلاثة معًا، وقد لا يقبض صاحبها بطاقته لتصرف له زجاجة ماء، أو قطعة جبن يكسوها العفن، وتفوح منها رائحة العطب...

الخيوط الأولى من الفجر، لم تكن تحمل معها سوى مزيد من المشاهد لفلاحي الأراضي الصغيرة المسيجة بأسلاك كهربائية، حيث لا ترعى مواشيهم العجفاء أبعد من تلك المساحة الضيقة، التي اقتصرت على إسطبل صغير، نفقت معظم حيواناته والمحاصيل الرديئة؛ هي التي كانت يجنونها منقلة المبيدات التي وحدها تستطيع قتل جيوش الحشرات التي قضت على المحاصيل، وتبقى الشمس الصفراء تشعُّ على استحياء، وهم يملئون زجاجاتهم الكثيرة في الغرف العلوية، التي تمرر نافذتها الصغيرة الأشعة الهاربة من الكرات الدائرية المعلقة بين السماء والأرض، ويخزنونها جيدًا تحت أكوام من الأقمشة البالية؛ حتى لا تصادرها منهم الآليات الحربية التي تسد مدخل كل بيت...

البيوت المتبقية تعدُّ على أصابع اليد؛ لم تعد مدينتهم كما كانت قبل خمس أو ست سنوات؛ فقد تضاءلت في امتدادها الذي دقت فيه

أوتاد المجنزرات، وقضى الكثير من سكانها في الثورة الأولى التي اندلعت شرارتها في تموز الأسود الذي كان - قبل ست سنوات ــ كل من في المدينة صغيرًا أم كبيرًا يعرف ذلك التاريخ جيدًا فجميعهم شاركوا فيه دون استثناء، حتى السيدة العجوز العمياء شاركت فيها، ومعها ابنها وزوجته وحفيدها، يسيرون معها في الطرقات التي غصت بالبشر، يحملون الأعلام البيضاء، ولكن أجسادهم طفت فوق بحر الدماء الأحمر، وبدا لون الأعلام أحمر قانيًا، الكثير من الأمور لن تستطيع أن تسقط من الذاكرة، وهي التي جعلتهم يصيئون في مصيدة دون أن تكون لهم القدرة على شيء، حتى اجتماعهم السريُّ اليوم محفوف بالأخطار، فقد تلمسوا الظلام الحالك الذي يسود مدينتهم ليل نهار، فلا كهرباء وقد أزيلت الأعمدة والأسلاك من الطرقات الطويلة الملتوية كأفعى صحراوية دقيقة، وبقي البناء الأسود هو ما يضيء في الليل الحالك، وبقيت رائحة الخمر تفوح منه في أنحاء المدينة، التي سكنتها الأشباح وهم كانوا أيضًا من الأشباح الهاربة، لكنهم لم يرتدوا الملاءات البيضاء بعد، فقد ارتدوا أقنعة سوداء... هذه الأقنعة السوداء والمحررون السود، أو الفئران السوداء كما أطلقت عليهم أجهزة مدينتهم، وكان مطلب معرفتهم أو الإبلاغ عنهم يساوي ثروة في ظل

الفقر، والجوع والظلم، الذي كانت تعيش فيه مدينتهم... وهو الذي مد أذرع الخوف، وحمى التخوين التي عرف بها أصحاب الأقنعة السوداء...

لم يستطع أحد معرفة منهم...

وبعد أن اقتيد عدد كبير من أعضاء التنظيم؛ قلت اجتماعاتهم، لم يعرف أحد منهم من هو المسؤول؟ من هو الفاعل الذي وشى بهم، وهو يدرك تمامًا أنه من أهم مبادئهم الدفاع عن البؤساء؟!

اجتماعهم في بيت كامل كان محفوفًا بالمخاطر، لذلك بدت أخيلة الأجساد الخمسة متأرجحة في ذبالة الشمعة، التي بنت حول نفسها كتلًا من الشمع، خمسة فقط من تبقوا من تنظيم ضم العشرات، وهم ينظرون إلى ظلالهم الصغيرة، التي امتدت على الجدار... الحركة الخفيفة التي تناهت إلى سمع جرجس جعلته يهب واقفًا... هي بالتأكيد كانت الحيلة؛ لجذبهم إلى هذه المصيدة والقبض عليهم، لم يكن بإمكانه إخبار أحد بمخاوفه فجميعهم في دائرة الشك... الريبة التي تمددت في عقله شلت تفكيره، فحمى التخوين دارت رحاها فمن تراه سينجو؟

من الخائن فيهم؟ وهو الوحيد الذي سيحاول أن يكون الأخير، الأخير فيتناول الطعم، وبحركة سريعة من يده أطفأ ذبالة الشمعة فتقلصت أجساد خمستهم في العتمة... لم يستطع أحد رؤية شيء... بدت وجوههم السوداء أشباحًا صامتة...

لم يتكلم... جعل جسده ملاصقًا بالجدار، خطأ صغير قد يكلفه حياته، كانت الحيلة التي يعرفونها جيدًا، أن هناك بابًا سريًا للخروج منه... ثلاثتهم فقط يعرفونه... كامل وأمير وهو...

ولكن إن كان أحد منهما هو من وشى بهم فستكون نهايته لا محالة عصيبة، سيوقع نفسه في الفخ دون أن يكلف الجنود أيَّ جهد لفعل ذلك، ولكن لِمَ يظن أن أمير أو كامل سيقوم بإفشاء سرهم؟

ربما يكون جميل أو داوود... هما أصغر سنًا وأكثرهم تمسكًا بالحياة...

إن تفكيره وحده وأحاطته بضبابية أمر يسبب له ضيقًا في النفس، ومزيدًا من الاضطراب... لكن جسدًا آخر لامس جسده، دق كتفه بكتفه رغم أنه كان أقصر منه قامةً، وأكثر قوةً، أدرك أنه كتف كامل الذي لكزه؛ كي يفتح الفتحة في الجدار ويهربا منها، كان عليه أن يفعل

ذلك، ولتكن النهاية ما تكون... فلن تكون أفضل حالًا من حمله لحياته على كف عفريت...

وقع الأقدام المسرعة جعلته يرمي بنفسه في تلك الفتحة، يرمي بجسده النحيل فيها، كان انزلاقه على أنبوب معدني لولبي، ينتهي بقطعة إسفنج في نهايته يهب منها واقفًا ليلتقط أنفاسه، كان عليه أن يكون حريصًا عند نقطة وصوله إلى الأرض، كيلا يقع في المجارير...

النهاية في الهروب لا تكون في معظمها إلى نور الشمس، فهناك نهايات مفتوحة يمرُّ خلالها بطل الرواية بعدة صعوبات، ويتغير فيها لون قميصه وقد يصيب وجهه الكثير من الخدوش الوهمية، لكن نهايتهم هنا ليست مفتوحة، وليست لنور الشمس أو أيّ نور... هي نهاية لأحد المجارير...

لعمل كامل في تخطيط المنشآت قبل أعوام طويلة فائدته، فهو يعرف كل مداخل ومخارج المدينة، ويعرف أدق تفاصيل المجارير، وامتدادها، وتفرعاتها في المدينة... فهو يحفظ كل شيء بدقة وحرفية، سره هذا لم يكن ليمنحه لأحد، فقط ثلاثتهم يعرفون هذا المخبأ السريّ، الذي يستطيعون الهروب منه، ومن ثم الخروج الآمن، والانخراط مع

الطوابير على لقم العيش، كان عليه أن يقف بسرعة قبل أن تصل قدماه أو عجزه إلى الخط الطويل من المجارير... وعليه أن يسير بخط ثابت على الرصيف الدقيق... الممتد مع طولها عبر هذه المجارير...

ثلاث فتح كان عليهم الاختيار بينها... وربما في حالتهم هذه التي أصبحوا فيها على تماسٍّ مع النهاية، ومع صفارة الحكم على كل واحد منهم أن يختار إحداها، وينجح في الخروج... الفتحة الأولى قرب تجمع سكني في شارع فرعي وهي الأكثر أمانًا، والثانية كانت في الطريق الرئيسي، والثالثة كانت خلف المبنى الأسود...

الفتحات الثلاث للمجارير هي التي تقع عليها مدينتهم، الاختيار الآمن لا يؤدي بالضرورة إلى نهاية أمنة، ولكن على أحدهم الاختيار...

لم يكن جرجس الذي انتظر مجيء صديقيه ثوانٍ ليحسن الاختيار، رغم أنه كان البادئ بذلك، في أن يعبر الهو، لم يكن لديهم أيضًا متسع من الوقت للتفكير أو القرعة، وهم ثلاثتهم يسمعون صدى أصوات تأتيهم من أعلى...

- لا بد أنهم هربوا... لا بد أن نتصيدهم...

إذًا كانت دعوتهم إلى فخ فيه نهايتهم... يتصيدونهم في الحجرة الصغيرة، ثم في هذا المكان، ولكن من الذي أخبرهم عن المكان السريّ؟

إن لم يكن هو فسيكون أمير أو كامل؟

نفض عن رأسه تلك الحقيقة، التي لم يرد تصديقها، كان يحمل لكامل معروفًا لن ينساه، حين أنقذ والده العجوز من الموت برصاصة كادت أن تخترق قلبه، لكن كامل جعلها في جسده، هذه التضحية لم يكن لينساها جرجس، ولم يكن لينسى تلك الحادثة الملعونة، التي ربما تكون الشرارة الأولى للثورة آنذاك، حين اقتحمت قوات الأمن البيوت الكثيرة، وأخذت منها الكثير من الشباب كانت حمى الفشل قد وصلت حينئذ للنظام، أن هناك من يريد قلب نظام الحكم، أيُّ تنظيم لم يكن لينجح بذلك؛ لأن الشعب مهما بلغت قوته وذكاؤه لن يمتلك الخبرة، ولن يمتلك القوة اللازمة لتحقيق ما يريد، وهو الذي تملكه أجهزة الدولة، جميعها دون استثناء... وهم الكفة الراجحة ولكن من كان المسؤول عن تسريب تلك المعلومة بقي طي الكتمان، الكثير من طلبة الجامعة اقتيدوا إلى السجون بسلاسل، وضربوا بالرصاص في

الساحات العامة، ولم تترك البيوت فقد مضى الجيش تنكيلًا و تعذيبًا بمن فيها...

أخته هيلين التي لم تتجاوز الخامسة عشر من العمر كانت رائعة الجمال، لم يكن أحد ليراها إلا وقد أصابته حمى العشق، ويبقى كنحلة تدور في محيطها، لذا قررت أن تعتكف في البيت مع جدهما العجوز، لم يستطع أحد الجنود احتمال جمالها، فأراد اغتصابها، جدها العجوز وقف رغم حدبة ظهره أمامه وصمد أمام البندقية، وسخرية بقية الجنود، فأطلقوا الرصاصة التي كادت أن تستقر في جسده، لكنها استقرت في كتف كامل الذي كان وإياه يدخلان على عجل من الباب الخلفي... فقد رمى بنفسه لتخترق الرصاصة جسده، في حين وبحركة سريعة أخذ مسدس أحدهم وأخذ يطلق الرصاص دون هدف...

لقد قتلهم جميعًا... كان مشهدًا أسطوريًا لن يصدقه ولو رواه على مسامعه أحد، أما جده فلم يُطّل البقاء بعد هروبهم واحتمائهم في بيت كامل، فقد قضى نحبه، لم يكن دفنهم مكنًا في ظل الانتشار الأمنيّ الكثيف، فما كان منهما إلا أن حملاه عبر هذا الممر السريّ، ورمياه

تحت جنح الليل في مياه البحر... لقد كان مشهدًا مروعًا أن ترمي جسد من تحب في ماء البحر، وحتمًا تعرف النهاية بأن يلتهمه سمك قرش أو تنهشه وحوش البحر...

الكثير من الأمور لا يمكن الجزم بإمكانية تحقيقها، فقط ما نستطيع التكهن فيه هو أننا نولد ولكننا لسنا مخيرين في موتنا...

الميت لا يمتلك إرادة التغيير...

وكذلك الأحياء...

كلاهما لا يملك الحق في أن يتخذ قراره في البقاء أو المغادرة بلا عودة...

كلاهما جيفة أو جثة أو مجرد جسد... لا يملك حق أن يدفن... وليس له الحق في رفض أن يحرق... أو أن يرمى من مكان سحيق. أو أن يترك في العراء لتنهشه وحوش الأرض... أو أن يمثَّل فيه...

مجنون من يحسب أن الموت راحة... الفصل الأجمل فيه أنك لا تشعر بإهانة جسدك، في حين غابت روحك عن دناءة البشر...

الفصل الأخير الذي ينتظره المارون في الحياة الفارة من مصيدة إلى أخرى، هو أن يحدثوا الفرق...

في هذه اللحظة بالذات عليه أن يصغي ويصغي جيدًا لعقله دون أن يحسب حسابًا لمخاوفه، عليه أن يعطل جهاز الحواس وأن يبقي على عقله فقط...

عليه أن يتخذ القرار لأن النهاية لا بد أن تأتي ومع أيّ كان...

لن يملك طرف حق البقاء دون آخر... وما يملكه هو أن يختار اللحظة الحاسمة... هو يعرف أن المبنى الأسود هو المكان الوحيد الذي يُضاء في الليل، في حين تنغمس المدينة في عتمة حالكة...

المشهد سيكشف...

سيكون فريسة سهلةً... سيكون قد قضى على نفسه بغباء...

يقولون: عندما تسرق اسرق جملًا... عليه أن يفجر المكان دون أن يشعر به أحد...

كل المباني في مدينتهم تُمدُ إليها أنابيب الغاز في بنيتها التحتية كالكهرباء والماء... لم يكن يحتاج إلى أكثر من قداحة... وثقب صغير في الأنابيب...

الأمر لن يكون صعبًا فقد تدرب عليه نظريًا كثيرًا..

لكنه لن يتكهن بالنتيجة...

هل سيقضي على من في المبنى الأسود وينتهي الأمر؟

هل سيقضي على المدينة بأكملها؟

هل سيكون الخصم والقاضي في نفس الوقت؟

كيف للحلال والحرام أن يجتمعا معًا؟

سيقولون: الأقنعة السوداء من قامت بالعمل...

أو في أحسن الحالات سيقولون: فأر أسود مرَّ في المكان...

فليكن ما يكن... الفئران السود أحيانًا لها جدوى حتى وإن قضت...

تمت

obeikan.com

وداع صامت

ليلي عمر

obeikan.com

obeikan.com

قد تشتعل قلوبنا بالحب، ويحتوينا العشق، ويغلبنا ضعفنا، فلا نجد لأرواحنا مفر إلا قلب من أحببننا، قد تدور الدوائر على كلينا، ويقطع طريقنا الفراق؛ فيحتل الحنين نفوسنا ولا نجد طريقًا للقاء، فلا يسعنا إلا أن نقف في صمت ونستسلم للوداع...

عُلِقت الزينة على واجهة هذا البيت الكبير أصبح البيت مُضاءً بالكامل، ما أحلي تلك الأضواء التي إن رآها القاصي والداني؛ علم فورا أن أهله من أكثر الناس سعادة الآن.

تلك هي عادتنا في أعراسنا؛ نعلق الزينات وتعلو الزغاريد في الأرجاء.. البيت في حالة هرج ومرج، هذا يحمل كرسيًا وتلك توزع الشربات على المدعوين، وآخر يهندم هيئته؛ لاستقبال المأذون القادم بعد قليل، إنه والد تلك الفتاة التي ستزف إلى بيت رجل ما، ولكنهم قد قرروا أن يتم عقد القران قبل الزفاف بيومين.

لم تعترض الفتاة فهي مستسلمة تمامًا لكل ما يحدث حولها، لكن أين هي تلك العروس الآن، لِمَ لا نراها بين المدعوين أو حتى نشعر بوجودها؟؟

إنها في غرفتها تجلس وحيدة شاردة الفكر. لا تتزين كغيرها في مثل هذا اليوم.

غالبًا ما تفرح الفتيات؛ تتزين وترقص وتمتلئ غرفهن بالصديقات، فرحين بتلك الليلة التي ستجمعها بفارسها المنتظر، الذي انتظرته ما فات من عمرها.

أما جميلة لم تكن مثل غيرها، فقد آثرت العزلة في هذا اليوم.

رغم إنها تعلم ألا أحد سيتركها وحدها طويلًا، فمن المؤكد أن هناك من سيقتحم غرفتها وقد كان، فقد وصل فستانها من محل الحياكة الآن؛ فدخلت والدتها تحمله لها وهي تزغرد.

. جميلة لقد وصل الفستان هيا لتجهزي نفسك، فالمأذون على وصول لم يبق سوي ساعات قليلة وأمامنا تحضيرات أخري.

وقفت جميلة وأخذت الفستان من يد أمها وبدأت ترتديه في استسلام. وراحت تضع بعض المساحيق على وجهها لا لتخفي قبحًا فيها، بالعكس فجميلة جميلة حقًا، ولكنها تزينت ــ كالعادة في المناسبات ــ وارتدت حجابها. نظرت لها أمها في سعادة وحب، وكادت أن تهرب دمعة من عينها إلا أن جميلة أنقذتها بيدها، وقبلت جبينها.

رنت الزغاريد في البيت وسمعن صوت الفتيات عاليا بالخارج؛ يعلن عن وصول المأذون.

مرت رعشة بين أوصال جميلة وبدا عليها الانفعال والتوتر؛ فهي منذ

أن تقدم لها ذلك العريس عاشت أكبر فترة لامبالاة في حياتها.
لم يكن سيئًا أو به ما يعيب، ولكنها لم تشعر به منذ لقائها الأول به.
ولكن ما عساها أن تفعل، فتلك المشاعر لا نتحكم بها، فهي هبة من الله يرزقنا بها بلا حول لنا ولا قوة.
فبعد جرحها العميق استسلمت لكل شيء، وأقنعت نفسها أنها ستعيش وتستقر
مثلها مثل غيرها. وكما أخبرتها أمها إن الحب دائما ما يأتي بعد العشرة والاعتياد.
أتي المأذون الذي رحب به والد جميلة، اتخذوا ركنًا خُصص لكتب الكتاب،
أمسك والد جميلة يد حسن العريس.
كان حسن يملك قدرًا من الوسامة وابتسامة مميزة، يحب جميلة كثيرًا لكن بطريقته، فهو عملي جدًا يحب بعقله. فهو شاب عادي أراد أن يتزوج؛ فأختار الطريقة التقليدية؛ حتى يُرضي أمه.
فقد توسط أحد زملاء والد جميلة في تلك الزيجة، وحينما رأي جميلة اقتنع بها وتعلق بها؛ لهدوئها والتزامها.
استفاقت جميلة علي دعاء المأذون والمدعوين، بارك الله لكما وبارك

عليكما وجمع بينكم في خير.. أصبحت زوجته الآن، صدمت جميلة للواقع الآن فقط.

كان بجوار جميلة في تلك اللحظة رفيقة دربها جهاد، جارتها وصديقة طفولتها حتى إنهما تحملان تشابه كبير في ملامح الوجه والهدوء والالتزام.

لكن جهاد قد ركبت قطار الزواج مبكرًا، فسبقت جميلة بعد قصة حب طويلة مع ابن خالتها، وحبيبها الأول وأبو ابنها حاليًا، الذي توج زواجهما وملأ حياتها سعادةً ودفءً.

احتضنت جهاد جميلة بود وسعادة وهمست لها:

. مبارك يا عزيزتي أتمنى لكي السعاة، انس الماضي يا جميلة فالمستقبل ينادي عليك فأسعدي به واهنئي. عند هذه الكلمات لم تتمالك جميلة دموعها فبكت بين ذراعي صديقتها.

انتهي اليوم وذهب كل في حاله، حتى حسن لم يمكث طويلا ورحل.

عادت جميلة إلى غرفتها، رن هاتفها فتعجبت حين رأت رقم حسن، ردت في قلق مصطنع:

. ما الأمر يا حسن؟

لكن جاءها صوته مازحًا:

. جميلتي زوجتي الحبيبة لن تتصوري كم أنا سعيد، فأخيرًا خطوة من أحلامي تتحقق.

ردت جميلة في تثاؤب:

. متعبة جدًا يا حسن وأرغب في النوم، لم لا نؤجل كلامنا للغد؟؟

تفهم حسن وأغلق متمنيًا لها ليلة سعيدة؛ توضأت جميلة وتجهزت للصلاة، وفور رفعها يدها للتكبير؛ انهمرت دموعها حتى انتهت صلاتها، دعت الله كثيرًا أن يصلح لها قلبها ونامت بعد معاناة.

صباح يوم جديد يوم الحناء استيقظت جميلة علي صوت هاتفها إنها جهاد.

. كيف حالك يا جميلة؟

. الحمد لله يا جهاد كيف حالك أنت وحبيبي أدهم؟؟

لم تجب جهاد، مما أثار قلق جميلة فسألت:

. ما الأمر يا جهاد؟ هل كل شيء على ما يرام؟

تنهدت جهاد وأجابت:

. لا أعرف يا جميلة، تسير الحياة بشكل عادي، ولكني أشعر أن أحمد

obeikan.com

بعيد عني، هناك حاجز بيننا.

اعتدلت جميلة في جلستها، وقالت:

. هل تشاجرتما؟

تنهدت جهاد في حيرة:

. لا لم يحدث بيننا أي خلاف، فقط أصف لك ما أشعر به؛ المهم هيا أيتها العروس الكسولة، استيقظي فأمامنا يوم طويل ومرهق.

ابتسمت جميلة وكأنما تذكرت للتو إنه يوم الحناء، وقالت:

. وما الذي سنفعله في هذا الصباح الباكر يا جهاد؟

قالت جهاد بسرعة:

- الكثير يا عزيزتي، خذي حمامًا دافئًا وتناولي فطورك حتى آتِ إليك.

. حسنا يا جهاد أنا في انتظارك، إلى اللقاء.

قالتها جميلة في برود. دخلت أم جميلة تحمل لها الفطور.

. هيا يا عروستي الجميلة كفاكِ نومًا.

نهضت جميلة ولم تنتبه لنظرات أمها السعيدة لها، وحينما التفتت لتلتقط منشفتها لمحت تلك الدمعة، التي فرت من عين أمها، اقتربت منها جميلة؛ وقبلت يدها وقالت:

. لِم البكاء يا أمي؟ ألا تعلمين أن دموعك تلك تؤلمني؟

ربتت أمها على ظهرها بحنان.

- إنها دموع الفرح، فطفلتي أصبحت عروسًا، وقريبًا قد أحمل أولادها وأصبح جدة، أسعدك الله يا ابنتي، هيا انهضي فالوقت يمر سريعًا، تناولي فطورك واغتسلي، وتركتها وخرجت من الغرفة.

بكت جميلة من كلام أمها، فكلتاهما تُضغط وتتألم.

اغتسلت وتناولت القليل من الطعام، لا تدري ما الذي جعل شريط الذكريات، يدور برأسها. وكعادتها تهرب من كل تلك الضغوط إلى صلاتها، توضأت وصلت وبكت.

حضرت جهاد تصطحب ابنها أدهم، بعينين ذابلتين ووجه شارد، لا يختلف كثيرًا عن وجه جميلة. بدأ يوم الحناء، بإقبال أهل جميلة وحسن، ارتدت جميلة فستانًا هنديًا مناسبًا لذلك الاحتفال.

أتت من سترسم لها الحناء، حل المساء سريعًا، وبدأت الفتيات بالرقص وعلت الزغاريد؛ كانت ليلة صاخبةً حتى إن جميلة نسيت كل شيء، فقد كانت مستمتعةً بوقتها وسط رفيقاتها وأهلها.

انتهي اليوم، وبعد انصراف أصدقاء جميلة، أتي حسن يحمل باقة من الزهور، طلب الانفراد بجميلة قليلًا، فأدخلته أم جميلة غرفةً،

حرصت جميلة علي وضع حجابها، دخلت الغرفة فأبتسم حسن وقدم لها باقة الزهور؛ ابتسمت له في رقتها المعهودة، وقالت: شكرًا لك يا حسن.

اقترب منها حسن إلى الحد الذي وتر جميلة؛ مما جعلها ترجع بضع خطوات إلى الخلف، لكن حسن اقترب أكثر وأمسك يدها وجذبها إليه عنوة؛ ارتعدت جهاد وقالت:

- أرجوك يا حسن اترك يدي.

لكنه بدي وكأن لم يسمعها فهم بتقبيلها؛ لكنها بكت مما أثار غضبه، ورفع صوته قائلًا:

. إنه حقي يا جميلة، أنت زوجتي الآن.

أدركت الآن جميلة ما هي مقبلة عليه، فالأمر فاق تحملها، لكنه أصبح واقعًا ولن تتمكن من الخلاص.

ـ أرجوك هذا ليس الوقت أو المكان المناسب يا حسن، اصبر كلها ساعات قليلة وأصبح في بيتك.

قالت جميلة تلك الكلمات بصوت متهدج مضطرب.

. بل الآن يا جميلة، أنا لا أطلب منك الكثير، قالها حسن في ثبات.

خضعت جميلة واستسلمت فهي تعي تمامًا إنه حقه، اقتراب حسن

إلى هذا الحد؛ جعلها تشعر بأنها جنت على نفسها.. تضاربت الأفكار بعقلها، بينما حسن يتحسس خصرها، لم تتحمل جميلة كل هذا الحد، ففرت هاربة من يده إلى غرفتها.

أخذت تبكي، ودت لو ينتهي أمر هذا الزواج بأي شكل.

بدلت ملابسها وتوضأت وأخذت تصلي وتبكي.

عادت جهاد إلى بيتها، لتجد زوجها يجلس بالشرفة، ويتحدث بالهاتف وما أن رآها حتى ارتبك وأنهي المكالمة.

تعجبت من أمره لكنها تجاهلته، ودخلت لتجهز طفلها للنوم.

نام أدهم وبدلت ملابسها، لكن أحمد لم يبرح مكانه، كان شاردًا

احتارت جهاد ما الذي يمكنها أن تفعله، هل تقتحم خلوته وتسأله عما يشغله، أم تستمر في تجاهلها، فهي تعلم إنه كتوم، ولن يخبرها عن مكنوناته وأسراره، وهذا التجاهل الذي تصطنعه لا يؤرق غيرها، استعانت بالله وقررت اقتحام حصون زوجها.

وقررت استخدام سلاحها المضمون فكلمات أمها لا تفارق أذنها ابدأ " كوني قريبة لينة، تحصلين على قلبه ومودته "

كلمات حكيمة لم تخيب أبدا ظن جهاد، كلما استحضرتها وعملت بها.

صنعت له عصيرًا منعشًا، وارتدت حجابها ودخلت الشرفة، طبعت قبلةً حانيةً على جبينه؛ أخرجته من عالمه وانتبه إليها. ابتسمت إليه في رقة وقالت:

. إلى أين ذهب عقل حبيبي؟

نظر لها أحمد ولم يجب، فهمت إنه لن يخبرها شيئًا؛ فغيرت مجري الحديث

ـ كانت ليلة رائعةً، ذكرتني بليلة حنتي، كنت كالفراشة المحلقة في السماء من السعادة.

هبت نسمة باردة اقشعر منها جسد جهاد، فضمت يدها على كتفيها نهض أحمد قائلًا:

ـ الجو بارد لم لا نجلس بالداخل، ونستعد للنوم حتى تتمكني من الذهاب لجميلة غدًا.

ابتسمت وهزت رأسها وانصاعت لما قاله.

بعد ساعة نهض أحمد من فراشه ليغتسل، تركه ساخنًا رغم علاقته الباردة بزوجته، التي لم يشعر بدموعها، التي انهمرت لما همس لها دون وعي وفي حميمية باسم امرأة أخرى.

إذن هناك امرأة غيرها تشغل باله، تشوش فكره، سلبته لبّه حتى إنه

لم يعد يري زوجته، أصبح في وادٍ أخر بعيد عنها.

بمكان مظلم، جلس حزينًا يبكي مقيد اليدين يقاوم رغم قلة حيلته.
يبكي ويهمس باسمها تارة، ويرتفع صوته ينادي عليها تارة أخري.
استطاع بصعوبة نزع يد واحدة من القيد، تهادي إليه طيفها، فمد يده الحرة إليها
يستغيث ويرجوها إنقاذه، لكن قيدها أشد وأمتن حبسها عنه، حتى إنها حاولت نطق اسمه لكن شيئًا ما وُضِع على فمها كممه، حملها مُقيدُها بعيدًا عنه...
بكت استصرخت أن يحلها من قيده، لكنه أعرض وأبي.

فزعت جميلة من نومها وعلى لسانها اسمه، وضعت يدها على صدرها لعلها تهدئ من روعها.
تساءلت تري ما به لم يبكي؟
كثيرًا ما كانت تراه في أحلامها لكن هذه المرة كان كابوسًا.

انتبهت لصوت أذان الفجر، وقبل أن تتحرك من فراشها؛ رن هاتفها ففزعت

- جهاد؟؟ ما الأمر؟؟

- ما بك يا جميلة ما كل هذا الفزع؟؟

جميلة: لا شيء، خير يا جهاد ما الأمر؟؟

جهاد بعد تردد: توفيت والدة كريم.

جميلة في صدمة ودموع: لا حول ولا قوة إلا بالله، كيف علمت بهذا الخبر؟

توترت جهاد فهي لم ترد أن تخبر جميلة عمن أخبرها.

فقالت بعد برهة من الصمت: من صفحة فارس علي الفيس بوك

بكت جميلة كثيرًا وقالت من بين دموعها:

ـ ماذا أفعل يا جهاد؟ لن أتركه وحيدًا يتألم، يجب أن أذهب إليه؛ أقف جواره.

جهاد بفزع: هل أصابك جنون ما يا جميلة؟ أنت زوجة الآن وزفافك بعد ساعات.

جميلة في انفعال: لا لم أُجن يا جهاد، لكني لن أترك "كريم" حزينًا، دون أن أراه ولو من بعيد. وزاد بكاؤها.

قالت جهاد تخفف عن صديقتها: اهدئي يا حبيبتي رجاءً، أنت تعلمين أنى أخاف عليكِ من تهور عواطفك، فالوضع الآن لا يحتمل يا جميلة،

لو علم والدك ستكون العواقب وخيمة، كما أن حسن لا نعلم كيف سيكون ردة فعله إذا أخذ خبرًا، حكمي عقلك قليلًا ولا تهدمي حياتك.
مسحت جميلة دموعها، وقالت: اتركيني يا جهاد سأذهب لأصلي، وليدبر الله لي أمري. وأنهت المكالمة.
أدت جميلة صلاتها بالكاد تحملها قدماها؛ فقد أنهكها الهم، جلست في ركن بالغرفة وضمت ركبتيها على صدرها، ودفنت وجهها بينهما وبكت بكاءً مريرًا، فهي ورغم انقضاء تلك المدة إلا إنها لا زالت تحب "كريم"، ولا يغيب عن ذاكرتها أيامها معه، وتلك المشاعر القوية التي جمعتهما، وعاد شريط الذكري يدور بعقلها ليأخذها إلى ذلك اليوم الذي مر عليه ما يقارب العامين...

بزغت أشعة الشمس في أرجاء السماء، لكنها كانت قاسيةً شديدة الحرارة، اليوم في تمام التاسعة وصلت الفتاتان إلى بوابة الجامعة، قالت جهاد متأففة تمسح عن جبينها الخمري بضع قطرات من العرق: لقد تأخرنا وضاعت المحاضرة علينا، تحمل جهاد وجهًا طفوليًا خمريًا رقيقًا، عينها الخضراء أضفت علي وجهها جاذبيةً، ذات قامة قصيرة، وتغطي رأسها بحجاب طويل.

قالت جميلة بنفس الضيق: إنها المرة الأولى التي نتأخر فيها هكذا.

دلفتا إلى الجامعة، لتصطدما بجمهور من الطلاب، يملئون أروقة الجامعة، يصيحون بأعلى صوت لهم بهتافات معارضة، ويحملون لافتات كُتب عليها شعارات مناهضة لما يحدث بالأقصى من أعمال عنف.

نظرت جهاد لجميلة بتوتر، وتشبثت بذراعها كطفلة صغيرة تخشي الخطر.

لم يكن توتر جميلة أقل منها، لكنها تماسكت رغم جهلها بما يمكنها فعله في هذا الموقف.

قالت لجهاد في حزم: اهدئي يا جهاد فسنخرج من هنا، ولن يحدث لنا أي مكروه بإذن الله.

أومأت جهاد موافقةً، وقبل أن تلتفتا لتخرجا من حيث دخلتا؛ فإذا بمجموعة من الطلاب يدفعون بهما وسط الحشود، وإذا بالأمن يدخل حرم الجامعة؛ ويحاصر المتظاهرون، وأُغلقت أبواب الجامعة، تمسكت الفتاتان ببعضهما ترتعدان من الخوف، لمحت جهاد مبني يتجمع عنده عدد من الطالبات، فجذبت يد جميلة تجاهه في محاولة منها للخروج من هذا الحصار.

وقفتا تنتظران فرصةً للخروج من الجامعة، غافلتين عن أن هذا المكان هو منبع المظاهرة من الأساس، فمبني كلية الحقوق عُرف عنه إنه دائمًا ما تخرج منه مثل تلك المظاهرات.

وبينما تختبئان في رواق المبني، وعلى غفلة خرج مجموعة من الطلاب ودفعوا بهن مرة أخرى حيث المظاهرة، وإذا بفتاة تركض تجاه جميلة وألقت لها لافتة واختفت وسط الزحام.

ظن الطالبات أن جميلة هي من تقود المظاهرة، فدفعن بها وأخذن يرددن ما كُتب على اللافتة " فداكِ يا أقصى... يسقط الظلم والطغيان "

كان كل هذا يحدث وسط ذهولها ودون إرادتها.

نظرت جانبها فلم تجد جهاد فزاد خوفها وتوترها، لقد تاهت منها وسط الجموع.

كان كريم يتابع حركات الطلاب بعدسة كاميرته؛ يسجل ما يدور بها من شباك مبني كلية الأعلام، يعاونه صديقه فارس، التقطت عيناه جميلة التي كانت تقود المظاهرة وكل علامات التوتر بادية عليها.

تعجب كثيرًا، كيف لفتاة بمثل ملامحها الهادئة، أن تقود مظاهرة

وتحدث شغبا؟

وجهها الصغير لا يوحي بأنها ثورية، أو من ذلك النوع القوي.

تأملها قليلًا لمح توترها واختلاج خطواتها، شعر وأن نظراتها تبحث عمن ينجدها مما هي فيه.

فقرر دون تفكير أن يكون قريبًا منها تحسبًا لأي خطر يلحق بها، ترك الكاميرا لفارس ليستكمل بدلًا عنه تسجيل الأحداث.

على الجانب الأخر كان عراك قد بدأ، بين الأمن والطلاب، وأُلقيت الكثير من القنابل المسيلة للدموع، حتى وصل الغاز إلى صفوف الفتيات، مما أصاب الكثير منهن بالغثيان. ومنهن من فقدن وعيهن.

ألقت جميلة اللافتة ما أن رأت مَنْ بجوارها وقد سقطت مغشيًا عليها، حاولت أن تساعدها قدر استطاعتها، وفجأة هجم مجموعة من الشباب . ذوو البنية القوية ـ على الفتيات وتطاولوا عليهن بالضرب والسحل.

كانت جميلة منهمكة في مساعدة الفتاة عندما ركض بلطجي ناحيتها ممسكًا بعصً غليظةً؛ وطوح عصاته في الهواء كيفما اتفق؛ فهوت منها ضربة عنيفة فوق رأسها فسالت دماؤها لتغرق الأرض؛ وفقدت الوعي على الأثر.. ولكنها قبل أن تفقد وعيها شاهدت "كريم" خلفها ممسكًا

بتلك العصا التي تلوثت بدمائها..

وكان "كريم" قد تلقى هو أيضًا ضربة أخرى - وإن كانت أقل عنفًا - فترنح قليلًا، ولكنه سرعان ما استعاد توازنه، واختطف الهراوة (عصا غليظة) من هذا البلطجي وهوي بها فوق رأسه بضربة قوية؛ فقد على أثرها وعيه.. بينما توجه كريم ناحية جميلة وحملها وهي فاقدة الوعي، وهرول بها بحثًا عن أي مكان يسعفها فيه... بينما سجلت كاميرا فارس كل ما حدث.

لم يجد مكانًا يمكن الاحتماء به إلا مبني كلية الطب، فوجده مليئًا بالمصابين.

وجد صديقًا له طالبًا بالكلية يعالج أحد المصابين؛ حمد الله وركض نحوه بجميلة.

هاتف فارس أخته وأخبرها أن تنتظره بمكان محدد خارج الجامعة، ومن بين حديد سور الجامعة مرر لها الكاميرا وهاتفه، وأمرها أن تركض وتختبئهم بعيدًا عن بيتهم.

وعاد فارس ليساعد زملائه المصابين، وتم القبض على العديد منهم بسبب أو من دون.

أوجد صديقه مكانًا لجميلة في المعمل، حيث وضعها على إحدى طاولاته وكأنها سريرًا؛ واخذ يفحص جرح جميلة.

رن هاتف جميلة فأخرجه كريم من حقيبتها، وخرج من المعمل، رأي اسم المتصل " جهاد "

فكر أن يرد لكنه تراجع؛ خشي من ردة فعل المتصل أي أن كانت هويته وعلاقته بالفتاة. فمن المؤكد إنه إن سمع صوته سيثير قلقه.

توقف الهاتف عن الرنين، بينما كان يفكر كيف سيتصرف؛ تهادت إلى عقله فكرة، بحث عن فتاة لتجيب هي على الهاتف، وتخبر المتصل بما حدث لجميلة وأين هي الآن.

عاد كريم حيث ترقد جميلة وسأل صديقه عن حالتها فقال:

- لقد تعاملت مع جرحها في حدود الإمكانيات المتاحة هنا، لكنه جرح عميق أظن إنه سبب لها ارتجاجًا بالمخ؛ سيتبين تأثيره عندما تفيق، لكن أنصح أن تخرج بها من هنا؛ لأنها تحتاج لرعاية أكثر، ربت على كتفه وهرول ليسعف حالة أخري.

جلس جوار جميلة حتى أتت جهاد، التي ما أن رأت جميلة في تلك الحالة؛ حتى انهمرت دموعها، وسألت كريم بصوتها الباكي:

. من أنت؟

قص عليها كريم كل شيء، وما قاله صديقه، وأعطي لها حقيبة جميلة وهاتفها.

ترددت جهاد في الاتصال بأسرة جميلة، فكلما همت بالأمر؛ تتردد وتفقد أعصابها وتنهمر في البكاء.

لم يكن بيد جهاد فعل أي شيء لجميلة، أخبرت كريم عن تورطهم في تلك المظاهرة التي لم تكونا تحسبا لها حسابًا.

. فقط أرجوك أن تساعدنا كي نخرج من هنا.

. لا تقلقي يا آنسة جهاد سوف أبذل كل جهدي.

حاول كريم الاتصال بفارس لكن هاتفه كان مغلقًا.

احترق كريم من القلق على صديقه، لكن ما عساه أن يفعل له الآن؟ فهو لن يترك جميلة، فشهامته ومروءته تمنعانه من التخلي عن مساعدة من يحتاج له، لكن الأمر الآن أقوى وأشد، لشيء ما دب في نفسه لا يدرك كنهه حاليا...

فكر في مخرج أخر، تذكر أحد حراس البوابات كانت علاقته طيبة به؛ فخرج يبحث عنه.

وبعد عناء في العثور عليه، طلب منه أن يساعده في الخروج بفتاه قد أصيبت، ويجب أن تدخل المستشفى فورًا.

طلب منه الحارس أن ينتظر؛ حتى تهدأ الأوضاع ويغفل الحراس، حيث أن التعليمات قد شددت ألا يدخل أو يخرج أحد من الجامعة.

عاد كريم حيث ترك جميلة وجهاد جوارها، وجد جهاد تبكي، وقف بعيدًا يتأمل وجه جميلة الرقيق، شعر أن ملامحها قريبة منه، ذكره وجهها الأبيض المستدير بوجه عزيز عليه، أخرج من جيبه صورة صغيرة لطفلة لم يتعد عمرها العامين، وقبلها ثم أعادها حيث كانت...

هدأت الجامعة قليلا، بالكاد خرجت جميلة يحملها كريم إلى أقرب مشفى.

بعد ساعات أمام غرفة جميلة بالمستشفى وقفت أسرة جميلة، وصديقتها جهاد بينما وقف كريم بعيدًا ينتظر أن يطمئنهم الطبيب علي جميلة.

خرج الطبيب فهرولت أم جميلة إلى داخل غرفتها، وأقبل والدها علي الطبيب الذي قال:

- لقد تعرضت لضربة قوية على الرأس، كان جرحها غائرًا تم خياطته، غير ذلك فكل الأمور بخير لكنها نائمة وهذا أمر طبيعي.

سننتظر ساعة من ثم نوقظها لنطمئن أكثر.

فتحت جميلة عينيها ببطيء، حاولت أن تنهض لكن الألم الشديد برأسها منعها وسألت أين أنا؟

مسحت أمها دموعها وابتسمت لها وقالت: لا تتحركي يا جميلة أنت في أمان الآن

قالت جميلة بوهن: ماذا حدث يا أمي ولماذا تبكين؟

لا شيء يا حبيبتي فقط ارتاحي وسأعود حالا.

قامت أم جميلة وذهبت تستدعي الطبيب؛ ليفحص ابنتها، الذي بدوره طمأنهم أن حالتها الصحية جيدة ولا شيء يدعو للقلق.

اطمأن كريم علي جميلة ووجد أنه لا داعي لبقائه في المستشفى، فاستأذن والد جميلة أن يعود غدًا ليزور جميلة.

شكره الوالد علي مساعدته لابنته.

عاد كريم إلى منزله فهو لن يتمكن من الابتعاد عن صغيرته لوقت أطول من هذا، ما أن فتح باب البيت حتى ركضت نحوه سارة بابتسامتها النقية، حملها إليه وضمها بقوة فقد اشتاق لها كثيرا.

جلس جوار أمه، وقبل يدها وأخذ يقص عليها تفاصيل يومه بينما تجلس سارة تستمع له كمن يفهم كل شيء، حتى وصل بحديثه إلى جميلة شعر بنبضة بقلبه، فمثل تلك الملامح حُفرت داخل قلبه،

وتركت له أثرها الذي لا يفارقه، نفض عن رأسه ألم الذكريات، وأخذ يداعب ابنته في مرحٍ، بينما أمه تضحك وتضمهما بعيونها الحانية.
انفرد بنفسه وعاود الاتصال بفارس لكن لازال هاتفه مغلقًا، فقرر أن يذهب إلى بيته في الصباح.

جلست جهاد جوار صديقتها، وقصت عليها أحداث ذلك اليوم، لكن أصابتهم صدمة بالغة، عندما أخبرتهم جميلة أنها لا تذكر أي شيء يخص ذلك اليوم، وقد توقف عقلها عند اليوم الذي يسبقه فقط.
أخبرهم الطبيب أن هذا أمر متوقع وطبيعي، وأشار إليهم ألا يضغطوا عليها، كما يمكنها الخروج من المستشفى في اليوم التالي.
طرق كريم باب غرفة جميلة، دهش عندما رآها واعيةً، اقترب يلقي عليها السلام، لكن ملامح جميلة تغيرت ما أن رأته، وشعرت بصداع شديد تألمت منه، اضطرب كريم مما بدا عليها، فأثر الصمت والخروج.
أمسكت جهاد بيد جميلة وربتت عليها، وسألتها: ما الأمر يا جميلة، لم تغير وجهك عندما رأيتِ كريم؟
قالت جميلة وقد اختنق صوتها: لا أدرى يا جهاد، لم أشعر بالراحة لوجوده!

قالت جهاد بسرعة: لقد انقذك يا جميلة، ولا يستحق منك مثل هذه المقابلة الباردة.

انفعلت جميلة من كلام جهاد وقالت بعصبية: لا أذكر شيئًا، ولا أذكره يا جهاد، وأمسكت رأسها بيدها متألمةً، فطلبت لها جهاد الممرضة لتعطيها مسكنًا.

علم كريم من الطبيب أن جميلة لا تتذكر ذلك اليوم، ورجح أن هذا من إثر الخوف والانفعال الزائد الذي تعرضت له يومها، وأنها قد تحتاج إلى أخصائي نفسي.

شعر كريم بالألم لما تذكر نفور جميلة من مقابلته، الذي لا يدري له سبب

خرج كريم من المستشفى وتوجه إلى بيت صديقه، علم من أخي فارس أن أخيه لم يعد منذ أن خرج أمس.

هاتف زميل له صدم كريم حينما أخبره أنه مع فارس بالقسم.

قال كريم بحدة وقلق: ماذا حدث يا إبراهيم أخبرني؟

قال إبراهيم بصوت منخفض: لا تقلق أنا معه ولا شيء عليه، مجرد إجراءات وسيخرج غدًا، هكذا أخبرني صديق لي ضابط هنا.

لكن ما تهمته يا إبراهيم، وبأي قسم أنتم سوف أتِ إليكم؟ سأل كريم.

لكن إبراهيم منعه وقال: رجاءً يا كريم لا تزد الأمر سوءًا، أخبرتك أنه سيخرج غدًا وسينقضي كل هذا سريعًا فقط أريدك أن تهدأ.

واستأذن أن ينهي الاتصال على أن يحدثه عندما تسنح له الفرصة.

يقع الحب في قلوبنا دون سابق إنذار، وبلا موعد، فلا ندري لنا مفرًا منه، فهو يعانق قلوبنا بقوة، ويتركها نابضة بالحياة..

جلس كريم في شرفة غرفته، لا يشغل باله سوى جميلة، ونظرة النفور التي وجهتها له، حاول أن يجد لها سببًا لكن بلا جدوى، لكنه تأكد أن حب جميلة أصاب قلبه.

أما جميلة فلا تدري، لما وقع ذلك النفور داخلها تجاه كريم، حاولت كثيرًا الضغط على ذاكرتها عسى أن تتذكر أي شيء.

باتت جميلة في حيرتها التي أرهقت عقلها، حتى غلبها النعاس رغم ذلك الصداع المزمن الذي أصابها.

صباح يوم جديد تنفس فارس الهواء النقي خارج قسم الشرطة، استقبله كريم بحرارة وأخذا يتبادلان أطراف الحديث فيما حدث

لكليهما.

بينما خرجت جميلة من المستشفى، لكن في أعماق ذاتها احتلها شعور بالغربة والحزن الشديد، حاولت بشتى الطرق أن تستعيد نفسها القديمة المرحة؛ لكن هناك حاجز تجهله.

بعد شهر...

أشرقت شمس ذلك اليوم الذي عهدت فيه جميلة لنفسها أن تنثر غبار الخوف عن وجهها وتكمل حياتها، فعمدت إلى الجامعة متمنيةً ألا يكون هناك يهودي في القدس حتى لا تأخذ عصا أخرى على رأسها.

وما إن ولجت أقدامها أبواب الجامعة؛ حتى رأت نفسها في ذلك المشهد الذي أصبح نقطة سوداء بحياتها.

ها هي تقف تائهة عيناها تبحث عن جهاد، ممسكةً لافتة فداك يا أقصى، والكل خلفها تدافع، وصوت قنابل وطلقات مطاطية مخيفة، تسقط بجوارها إحدى المتظاهرات تميل جميلة عليها لتتفقدها، همت ترفع رأسها لتسقط مصابة على الأرض ترطمها عصا على رأسها تنظر خلفها لتجد..

كريم

نعم إنه هو

هو آخر من رأيته بعد صدمتي

تذكرت وكأنه الآن، هو من ضربني

في صدمة واندهاش، تترك ساحة الجامعة مهرولةً لكنها تصطدم به كان قريبًا منها، نظرت له في حدة وغضب، انقلبت وتغيرت ملامحها، لكنها تركته راكضةً خارج الجامعة، وهو خلفها، اندفع وراءها واستوقفها، ماذا حدث يا أنسة جميلة؟ هل من خطب؟

ردت عليه بانفعال وغضب، ابتعد عني وعن طريقي أيها البلطجي، لا تصطنع الشهامة والرجولة، كفاك تمثيلًا.

الذهول والدهشة كل ما استطاع وجه كريم التعبير عنه.

أردفت جميلة بنفس النبرة الغاضبة: لقد تذكرت كل شيء الآن، أنت من ضربتني على رأسي، أنت من أسلت دمائي، وكل ما تفعله الآن ومنذ أن فقدت وعيي ما هو إلا تمثيلًا حتى تواري عن فعلتك، تخشي أن أتهمك بالاعتداء والضرب، حالفك الحظ إنني نسيت ذلك اليوم، فشعرت بالذنب وأشفقت عليَّ، لكن لم تأتيك الرياح بما تشتهي سفنك، فقد تذكرت أيها الهمجي.

طعنة الظلم أقسي ما قد يصيب المرء، خاصة وإن أتت مَمن نحب، تضاربت الكلمات على لسان كريم، بحث عن كلمة واحدة في قاموس

الكلمات يعبر بها عما بداخله، لكن بلا فائدة، سمح لها بالمرور فاستكملت مسيرها، ناداها مرة أخرى

. أنسة جميلة.

وقفت دون أن تلتفت له.

فقال: أرجو من الله أن يثبت براءاتي أمامك، فرغم قصر مدة معرفتي بك إلا أنك تعنين لي الكثير.

ليلة حالكة السواد؛ لأول مرة يبكي كريم منذ أن فقد زوجته، حاولت سارة اللعب معه لكنه لم يستطع، حتى أمه لاحظت حالته، لم تملك له سوى البكاء المكتوم والدعاء...

تقلبت جميلة في نومها كثيرًا، كلما أغمضت عينيها تراه، هاتف داخل نفسها يحدثها أنه مظلوم، لكن كيف لها أن تكذب ما رأته بعينها؟!

أخبرت والدها بما حدث، انفعل كثيرًا وهدد بأنه إذا تعرض لها كريم مرة أخرى سيقدم ضده بلاغًا.

لكن شيئًا ما داخل جميلة دفعها بأن ترفض أن تؤذيه...

مرت الأيام سريعة حزينة علي كريم، شعور الظلم يقتله.

عاد فارس من رحلة زيارة أخته، التي تدرس في محافظة أخرى، كانت

قد سافرت وبرفقتها الكاميرا الخاصة بكريم وهاتف فارس.

اتصلت أم كريم بفارس صديق عمره، الذي لن يتأخر على رفقيه مهما كان، فأسرع فارس إلى بيت كريم ليزوره...

وما أن التقيا حتى بادره فارس بالسؤال عن حاله، فقص عليه كل ما جري له مع جميلة.

ذلك الشجن الذي لمسه فارس في صوت صديقه دفعه أن يسأله: هل تحبها؟

نهض كريم وتوجه إلى شرفة غرفته، يتبعه فارس، أخذ نفسًا عميقًا، ثم قال: من أول نظرة، تغيرت نبضات قلبي، أشعر إنها تنتمي إلى، أحببتها... نعم أحببتها.

لكن اتهامها ليّ إني أتقرب إليها؛ لأخفي جريمة ما، يزيد من صعوبة الوصال بيننا، حُكِم على قلبي بالموت وهو حي ينبض.

ربت فارس علي كتفه: اهدأ يا صديقي، فعندي دليل براءتك، دع الأمر ليّ.

في اليوم التالي، ذهب فارس إلى الجامعة، انتظر خروج جهاد من المحاضرة، طلب منها أن يتحدثا قليلًا، لم ترفض جهاد لما علمت أن

الأمر يخص صديقتها جميلة، بدأ فارس الحديث: هناك سوء تفاهم لدي أسرة جميلة، أردت أن أوضحه لكِ، عسى أن تنصلح الأحوال.

أخرج حاسوبه الخاص، الذي يعرض عليه ما تم تصويره بكاميرا كريم، فإذا بها تري المشهد كاملا، من كروفر، وقنابل الغاز، وسقوط الطلاب والطالبات، وصولا لحادث جميلة، وإنقاد كريم لها من يد ذلك البلطجي، وضربه إياه، حتى حملها إلى حيث مبني كلية الطب...

ما رأته جهاد أحال نظرها عما قالته جميلة، قررت فعل شيء يزيح تلك الغمامة من على عين جميلة.....

كان لوقع كلمات جهاد دبيب بقلب جميلة، التي لانت وصدقت ذلك الشعور الذي كان يلح عليها ببراءة المتهم المظلوم كريم...

هاتفته واعتذرت بخجل، طلب مقابلتها وافقت.

شغف اللقاء الأول ملأ القلبين، وكأن الأرض كلها أُغرقت شوقًا ولهفةً، والتقيا لكن انقبض قلب جميلة لما رأت ذلك الخاتم البراق الذي يحيط إصبع كريم...

وكأنما قرأ ما جال بخلدها؛ أناخ رأسه وبدأ هو بالحديث:

نعم يا جميلة هذا الخاتم بالفعل خاتم زواجي؛ وأخرج لها صورة لابنته سارة.

وأردف: وهذه ابنتي.

انكسر قارب الأمل الذي كان يحمل جميلة...

استكمل كريم حديثه: سأخبرك بكل شيء، لكن يجب أن تثقي إني لن أتلاعب بمشاعرك، ولن أجبرك بخوض أي تجربة لا تريدينها.

وبدأ يسرد قصته...

منذ ثلاث سنوات تزوجت ابنة عمي، بِناءً على وصية أبي، رغم صغر سني إلا إنني نزلت لرغبته طوعًا، فقد كانت يتيمة الأب والأم، عاشت معي تراعي أمي، وتقوم بكل شؤون حياتي، كانت نعم الزوج، حتى أصيبت بمرض عجز الأطباء تشخيصه، وكانت النتيجة أن أكمل حياتي برفقة سارة ابنتي، انظري يا جميلة أليست تشبهك كثيرًا؟

ابتسمت جميلة، دهش كريم من تلك الابتسامة، التي زرعت داخله الأمان، وكأنما ولد الآن كريم الذي عاش وحيدًا سنواتٍ طوال، وجد رفيقًا لروحه وأنيسًا لقلبه. وجميلة دقات قلبها الأولي أصبحت ملك كريم الآن، ملئا الأيام عشقًا، وكأنما أغرقا الأرض بندي حبهما البريء....

خرجت جهاد من مركز التزيين، تستند إلى يد جميلة، متوترة ومبهرة الجمال، اليوم هي عروس لحب عمرها الوحيد، ابن خالتها الذي

انتظرت طويلًا أن يعترف لها هو أيضا بحبه، لكن فاجأها بطلب الزواج.

ذلك الزفاف حرك مشاعر كريم، جعله يرغب أن تدوم علاقته بجميلة إلى ما لا نهاية، اتخذ قراره أن يسألها رأيها؛ فإن وافقت فسيرتاح قلبه، وستسكن روحه بقلب حبيبته...

وافقت جميلة بالزواج منه، وبالفعل حدد كريم موعدًا لمقابلة والدها، ونام ليلته يرسم الأمل بريشة بيضاء بسقف طموحه، يردد اسم جميلة، وكل ما يرجوه هو أن تسير السفينة وفق اتجاه الرياح...

وصل العروسان لعشهما، كانت جهاد متوترة، لكن تحملها السعادة كفراشة في حديقة مزهرة، تعِد أحمد أن تسقيه من رحيق السعادة ما لذ وطاب، غاب عنها إنه لم يقل لها يومًا إنه يعشقها مثلما تفعل هي...

في بيت جميلة سادت بعض الغيوم المكان، وأنعكس اتجاه الريح؛ فأغرق السفن فكان لأبيها ردًا معاكسًا لما خططا له جميلة وكريم.

جاء رد أبيها لكريم قاطعًا وغير قابل للنقاش.

وعندما علم بأن جميلة تريد ذلك زاد أبوها تصميمًا لرأيه؛ فأخبر كريم

بما لا يليق، إنه إذا اقترب أكثر من جميلة فسيكون الأمر أكثر صعوبةً عليه، وأهان تلك الزيجة التي مضت من حياته، أصارت وصمة سوداء بحياته؟

ما ذنب قلبه المسكين الذي أحب وعشق فتاةً بكر، أسيكون إنسان من الدرجة الثانية؛ لأنه فقط أرمل ويربي طفلة يتيمة الأم؟!

وانتهت آمالهما العريضة، إلى تلك اللحظة التي كتب فيها والد جميلة سطر النهاية، ضعف جميلة واستكانتها مكنَّ أبوها من التحكم فيها، حتى وصل الأمر إلى زواجها بحسن...

عادت جميلة من طريق الذكري، يئن قلبها، تصرخ روحها، وقفت أمام زجاج شرفتها، تتأمل ميلاد صباح جديد، لكن بعقل شارد وعيون أنهكها البكاء.

سألت بين نفسها هل تستمر في الاستسلام، وترك حياتها طوع أمر الآخرين، يسوقونها كيفما شاءوا.

هل ستتمكن من المضي في حياتها مع حسن، دون أن تشعر ولو للحظة اشتياق وحنين لكريم؟ وإذا حدث، هل ستكون زوجةً وفيةً صالحةً، أم إنها ستخون؟

حزمت أمرها، أرسلت رسالة هاتفية لجهاد أخبرتها بكل ما نوت فعله، وأحضرت ورقة وكتبت...

أبي... كنت دومًا ابنتك المسالمة المستسلمة، لم أعارضك يومًا في أي قرار اتخذته، أبي كم يعز على نفسي أن تكون أول من دهس قلبي، ولم يري نزف مشاعري، لقد أثرت الصمت فيما مضي، لكنك لم ترَ ألمي وحزني، غلبك تسلطك، فكسرت قلبي مرة؛ لكنني لم أعد احتمل، فلو إنني أملك نبضات قلبي، أو إنني أملك من أمر نفسي شيئًا، لمضيت فيما أجبرت عليه دون مقاومة، لكن لا حول لي ولا قوة، فقلبي ليس ملكًا لي، ولا نفسي أيضًا، وهذا ما سأخضع له من الآن، فأنا قررت أن أحيا كما يرغب قلبي، مع ذلك الذي أحببته، غير عابئةً بما سيأتي، أو بما قد مضي..."

وخرجت وهم نيام، قاصدة بيت كريم.

انتفض أحمد من فراشه بعدما جاءته مكالمة تحمل له خبرًا سيئًا، لاحظ تغير ملامح جهاد، ونظراتها الطويلة إليه، وكأنها تحمل له عتابًا أو ألمًا على غير المعتاد له، لكنه سيتجاهل الآن كل هذا، فما هو فيه الآن لا يحتمل أن يفكر فيها، أو فيما تعتقد أو تعرف. نظر لها بعين

مترقرقه الدمع تعبر عن كثير مما بداخله.
ليس الآن يا جهاد، إن ابنتي في خطر حقيقي سامحيني، لعلني ظلمتك، لكن لربما يومًا تعلمين بسري، ومهما كانت العاقبة فأرجو أن تغفري لي. ود لو أن لسانه وشجاعته طاوعاه ليخبرها كل هذا.
لكنه اكتفى بأن اقترب منها يقبل يدها لكنها أزاحتها بعيدًا عنها.
عاد الاتصال، حاولت عين جهاد أن تري هوية المتصل لكن أحمد أخفى هاتفه بين كنف يده وتركها وخرج...

أمسكت أم جميلة الخطاب مرتجفةً، ويدها تبكي.
بينما أدرك أبوها مكانها، ولكن سبب فعلة ابنته غائب عنه، فلماذا الأن والوقت قد أزف، وأنت يا جميلة على وشك أن تذهبي بيت زوجك؟!
تضاربت الأفكار في رأسه، وعندما تحدث إلى جهاد وجد إجابات تلك الأسئلة، فقد تغلبت عليها عاطفتها بسبب موت أم كريم، وعصت أمره. فما كان منه إلا أنه بلغ زوجها فهو الآن يقتسمه المسئولية.
تدفقت الدماء في رأس حسن، الذي بدأ يشعر بكارثة وشيكة الحدوث، فزوجته في بيت رجل أخر، علم أنه كان يحبها ويرغب فيها، لأي سبب

لا يهم، ولكنها هناك والآن!، قبل دخول بيته.
لم يستغرق حسن وقتا ليفكر فيما سيقوم به.
في كل منا شخص وحشي يخرج وقت الحاجة...

أسرع أحمد يسابق الزمن، يرتجف قلبه داخل جوفه، فابنته في خطر مسافة ليست قصيرة قطعها بين بيته، وتلك القرية النائية التي تعيش بها زوجته الأخرى هند...
شغفته حبًا، كانت كل النساء بعينه، لم يرغيرها، زميلة دراسته، التي منذ أن رآها دق قلبه؛ وهوي ساقطًا في غرامها، سنوات مرت يحبها هو ويغدق عليها بكل الولع والشغف الذي اشتعل داخله، عمي قلبه أن يري أو يشعر بجهاد، كانت فقط ابنة خالته لا أكثر من ذلك ولا أقل..
لكم أراد أن يمضي بقية حياته زوجًا لهند، لكن أمه وقفت له بالمرصاد ضد هذا الزواج، حاول إقناعها بشتى الطرق، لكنها كانت تعلم أن هذه الزيجة لن تأتي له إلا بالهم والمشاكل، التي قد تودي بحياته، لكن من منا يملك زمام قلبه؟ وأي حياة تلك بعد فراقنا عمن نحب؟!
حتى لما حبسوها عنه، لم يخش شيئًا فروحه معها.

وفي أول فرصة لقاء لهما، التقت أيدهما وكأنهما يعدان بألا يفترقا، كتبت أجسادهما وثيقة البقاء الأبدي، لم تكن قبلاتهما فقط حارة، لقد كان الاشتياق أكثر حرارةً، ومع كل نفس يخرج من أحدهما، يسكن بصدر الأخر، وفي اللحظة التي استفاقا من غمرة السعادة، فإذا بهما يصطدمان بالواقع، فمثل زواجهما في مجتمعنا جريمة، فكيف يعشق المسلم نصرانية؟!

قلوبهما وقفت صامدةً تدافع عن آخر قطرة أمل لعل وعسى أن يكتب لهما زواجًا مخلدًا.

لكن هند اختفت، شهر... شهرين، لا يعرف لها طريقًا، علم من أهلها إنها هربت، وهددوه إن لم يبتعد عنها ستكون حياته ثمنًا، لم يعبأ بتهديدهم هذا، إنما ما أرعبه حقًا هو قدرتهم على قتلها، بحث عنها كثيرًا، وفي ذروة خوفه وشوقه إليها، أرسلت له رسالة..

لا تبك يا حبيب القلب والروح، اشتقت لك وطفلك الذي يسكن أحشائي مع كل نبضة له يسألني عنك، نعم يا أحمد فأنا حامل لذا هربت من بيت أهلي، ليس من حقهم إجهاضي وحرماني من أن أكون أمًا لقطعة منك، لا تقلق يا حبيبي لن أربيه على ديانتي القديمة، فقد أسلمت من أجله، بعت من مصوغاتي لكي أنفق، ذهبت إلى الطبيب

أمس، وغيرت اسمي، طفلنا كبر شهرًا، أحاول أن أكون في أمانٍ، لكن الخوف يسكن قلبي، أخشى كل من حولي.

أعلم أن هناك من يجبرونك على الزواج من ابنة خالتك، تزوجها يا أحمد، عش سعيدًا كوّن أسرة وأسس بيتًا، لعل أهلك يغفلون عن قصتنا، أمض في حياتك وسأنتظرك

تزوجها حتى يضل أهل هند.

وبعد فترة من زواجه، هاتفته هند أخبرته مكانها، لم يكن لقاءً عاديًا، ساد الصمت رغم فيض العيون بالكثير، لهفتها واشتياقها له كانت اللغة الوحيدة في تلك اللحظة، أبت أجسادهما الابتعاد، فظلا ضامين بعضهما طوال الليل، وبورقة زينت بتوقيعهما.... تزوجا...

أمن لها مسكنًا في قرية تبعد عن بيته مسافة قريبة، كان يخرج من عمله إليها، يمكث ساعات قليلة ثم يعود إلى جهاد، حتى لما شعرت هند بآلام الوضع أحضر لها صديقًا له ليولدها، أنجبت بنتا أسمتها "هاجر"...

تلك المسكنة التي كتب لها أن تحيا أول سنوات عمرها في سجن أمها...

وصلت سيارته إلى بيته الثاني، تجلس هند جوار ابنتها قالت وهي تبكي: حرارتها مرتفعة منذ أمس، فعلت كل ما بوسعي لكنها لا تنخفض..

ربت على كتفها، وحمل ابنته، همت بالخروج معه لكنه منعها، نظر لها مشفقًا على حالها.

. لا يا هند، رجاءً ابق هنا سآخذها إلى المشفى وحدي.

قالها أحمد ووجهه يتصبب عرقًا خوفًا على ابنته.

في بيت كريم وأجواء الحزن تغيم البيت، عزف كريم عن تلقي العزاء، انعزل بغرفته يحمل حزنه وحده، وقف بدلًا منه في صوان العزاء فارس صديق عمره، الذي ما أن رأي جميلة اطمأن أن صديقه قد يخرج من عزلته ويَهُونّ حزنه، دخلت الغرفة واقتربت منه تبكي لبكائه، رفع رأسه ببطيء ووهن، كذّب عينه فأناخ رأسه مرة أخري، وتنهنه بألم وحزن، ركضت سارة إليه ما أن فتح الباب، سألته عن جدتها أين هي؟! المسكينة كانت تنام جوارها، لكن قُبضت روحها ولم ولن تستيقظ أبدًا، جلست جميلة جوارهما، مدت يدها لمسته، عاود النظر إليها كأنما يتأكد إنها هنا حقيقيةً وجواره، نطق اسمها في تلجلج: جميلة، حقًا أنت هنا؟

أومأت برأسها، نعم أنا.

تعجب فسأل: كيف، وماذا عن حفل زفافك؟

نظرت له بعمق: لن أكون لغيرك يا كريم، لا أحتمل فكرة أن رجلًا آخر بحياتي؛ لقد هربت...

هبَّ كريم واقفًا، وقال منفعلًا: خطأ يا جميلة، مؤكد أن والدك سينكسر، ويلحقه الخزي، فموقفك هذا سيزيد الأمور تعقيدًا.

انفعلت جميلة: وهل كوني زوجة لغيرك هذا ليس تعقيدًا؟

هل رؤيتك ليّ في كنف رجل آخر ليس تعقيدًا؟!

أنت استسلمت وتخليت عني، لكن لن استمر في الخضوع أكثر من ذلك، يكفي ما مضي بعيدًا عنك..

إن كنت غير راغبًا فيّ، فالأمر سينتهي الآن؛ وأتزوج حسن وأطوي صفحةَ حبي لك إلى الأبد.

أمسك كريم زراعها في شدة وقال:

- هل كنت سأجبرك أن تربي ابنتي وأنتِ في بداية حياتك؟!

هل كنت سأعارض أهلك ليقطعوا علاقتهم بك، وتعيشين تعيسة معي، بين لوعة اشتياقك لهم وغضبهم عليك؟! منعتني رجولتي وليس ضعفي، منعني حبي لك أفهمت؟

تفاجأ كريم بمن يقف أمامه شاخصةً عيناه مندهشًا، تظهر على وجهه علامات الغيرة ومفاتيح الانتقام.

أسرعت جميلة قائلة: حسن، عليك أن تتفهم الأمر.

اتفهم؟ ماذا تريدينني أن أفهم؟

تدخل كريم: من أنت؟!!

فقال حسن: أنا زوجها.

فتركهما كريم وخرج.

همت جميلة أن تنطق، لكنه انهال عليها بالصفع والضرب، في البداية كان بكاؤها مكتومًا، إلا إنه تضاعف غضبه لما سمعها تستغيث بكريم، فلم يعي حسن ما يفعل إلا وجميلة ساقطة على الأرض مغشيًا عليها تنزف...

في المستشفى رفع الطبيب سماعته عن صدر هاجر، وقال لأحمد:

. إنها الحمى القلاعية، وعليها أن تبقى بالمشفى حتى تستقر حالتها.

نزلت كلمات الطبيب على قلب أحمد كدبيب ثلجٍ أسقطته السماء في ليلة شتاء قارس، لتتفاقم حيرته الآن ثلاث بيوت وليس بيتين، ماذا يفعل، جهاد ماذا تظن الآن؟!! وهند ووحدتها، وطفلته المسكينة تئن أهات المرض...

في مستشفى أخر، ترقد جميلة بعد تضميد الجروح، طلبت من الطبيب إثبات حالة التعدي وتحرير محضر ضد حسن.

وبالفعل تم استدعاء قسم الشرطة لحسن للإدلاء بأقواله.

فما كان من حسن إلا الاعتراف، وطلب أن يتم الصلح. لكن صدمته جاءت في القرار الذي يتبع ذلك.

حيث كان شرط جميلة للصلح والتنازل عن المحضر، هو الطلاق بعد برهة من الصمت، طلب حسن أن يختلي بزوجته لبضع دقائق.

حسن: هل تطلبين ذلك لأنني ضربتك أم لسبب آخر؟

أشاحت جميلة بوجهها عنه، ثم تنهدت وشرعت قائلةً: هل تؤمن يا حسن بما يسمى الحب، كل ما في الأمر أنني لا أستطيع أن أُسكنك قلبي، وهو مسكون حقًا، لا أريد منك أن تكرهني أو تكره كريم، وأقسم لك أنه لا خيار لنا في ذلك.

. لا تحتاجين إلى كل تلك المبررات، أنت طالق

ثم ذهب ووقع على محضر الصلح وذهب ليلغي فرحه الذي أعده.

ليلة قاسية تمر علي أحمد في المشفى، طويلة لا تنتهي يملأها الخوف من كل شيء، وكثرة الاحتمالات السيئة تزيد همومه، فلا يوجد احتمال واحد يحمل بعض الضوء، الذي يغير تلك الظلمة التي تحيطه.

في السابعة صباحًا، أتاه اتصالا من هند التي مر ليلها في قلق لا يقل عن زوجها، ليس فقط لمرض طفلتهما هاجر، فمن يأمن العواقب؟ فالمصائب دائمًا تأتي تباعًا.

لن أستطع يا أحمد أريد أن أراها الآن، قالتها هند دامعةً

لم يصمت أحمد كثيرًا فدمعة هند تكسر كل قوانين حياته

- كيف لك أن تخرجي يا هند وأنت تعلمي كل شيء!

- ماذا إذا أخفيت وجهي بنقاب ولن يراني أحد، أعدك أرجوك يا أحمد

- بلا رجاء يا هند اكتبي عنوان المشفى، استقلي سيارة أجرة توصلك إلى هنا.

في المشفى، بجوار سرير هاجر، نتاج صراعهم المرير مع الحياة، يمر الطبيب، ويداعب صغيرتهما ببعض الكلمات الرقيقة، ثم يتحدث إلى إحدى الممرضات بالمداومة على العقار في موعده، ويتجه إلى أحمد قائلا:

ـ نريد شهادة ميلاد الطفلة لإثبات الحالة، وبطاقتك لاستكمال البيانات.

تفاجأ أحمد من الطلب وقام فزعًا وبدت عليه علامات الارتباك، التي حاول إخفائها. ناظر إلى هند التي كانت في وضع أسوأ منه، فليس هناك

شهادة ميلاد لها، كما أنه لا قسيمة زواج لهما!

لاحظ الطبيب ذلك الارتباك الذي أثار ريبته، وشعر أنهما ربما يخفيان جريمةً ما.

وبعد نصف ساعة انتبها على طرقات باب الغرفة بالمشفى، فتح أحمد الباب ليجد ضابطًا من قسم الشرطة الذي بدأ بسؤاله:

. من فضلك بياناتك، وبيانات الزوجة، وبيانات الطفلة.

هكذا تم إحكام المأزق على أحمد، الذي لم يتمن أبدا أن يقع فيه.

ليس معي إثبات للبنت وهذه بطاقتي وبطاقة الزوجة، وسنشرح لك الأمر.

الضابط: ليس هنا بل في القسم.

في قسم الشرطة

بعد مراجعة البطاقات، والملفات، تبين بأن هند مقيد لها محضر اختفاء من سنتين.

طلب الضابط منهما ردًا على ذلك.

فبادرت هند بالرد:

- نعم أنا من قررت أن أترك البيت، وأتزوج بأحمد، وهذه ابنتنا ولو علموا مكاني سيقتلونني لأنني أسلمت وتزوجت منه.

الضابط: أسف، لابد من إغلاق المحضر القديم.

هنا أدركت هند أن ناقوس الخطر اقترب، بل دق وربما يبشر بشيء ليس هينًا

ارتكزت على أحمد وخرجا من قسم الشرطة عائدين إلى المشفى حيث طفلتهما المريضة، إلا أن هند استوقفته قائلةً:

لن آتي معك إلى المشفى الآن، هناك أمر لابد أن ينتهي.

مدت جميلة يدها تمسك يد كريم، هي تبتسم في وهن وضعف، وسألته: أين سارة؟

ابتسم لها وقال: لا تقلقي تركتها مع أسرة فارس.

حاولت جميلة الجلوس؛ ألمتها جروحها، ساعدها كريم، فقالت له:

- كم مدة العدة للمعقود عليها يا تري؟

تعجب كريم السؤال لكنه أجاب:

- ليس عليها من عدة لكن لما السؤال؟!

- ألم يأن الأوان أن تتزوجني؟ أنت مدين لي بوعد قديم.

احتار كريم فهو لا يرغب في أن يتزوجها دون موافقة والدها.

أتت جهاد، رغم ما بها من حزن، لكنها لن تترك صديقتها في تلك المحنة

opeikan.com

وحدها، ومن بعدها أسرة جميلة، وما أن رأي والد جميلة وجه كريم حتى توجه له قائلًا:

- ألم أنهاك عن الاقتراب من ابنتي؟ أرأيت فوجودك بحياتها نذير شؤم عليها.

- أبي.

التفت إلى صوت جميلة الواهن الضعيف.

. سامحني لم أتخيل يومًا أن أُسبب لك أي عار أو خذي، لكن يا أبي أنا أحبه وأنت لن تقف في طريق سعادتي، التي لطالما كانت شغلك الشاغل.

هل ستربين له ابنته؟ قالها الوالد في حدة.

خرج كريم من الغرفة فهذا الحديث أشعره بالحرج.

أجابت جهاد بدلا من جميلة: وما ذنب الطفلة يا عمي، هي يتيمة الأم، كما أن جدتها توفيت، مما يعني أنها وحيدة تماما وتحتاج إلى من يرعاها.

وقف الأب يفكر في الأمر، وينظر لوجه ابنته الممتلئ بالكدمات، ورأسها المعصوب بالضماد.

تساءل إن تزوجت ممن عذبها وكدر صفو حياتها، فهل سيسعد حينها؟

وماذا إذا كانت ابنته يومًا في مكان ابنة كريم؟

أخذ نفسًا عميقا وقال: حسنا يا جميلة، أوافق على زواجكما.

تهللت أسارير كل من بالغرفة، وخرجت جهاد تنادي علي كريم وتبارك له موافقة الوالد.

خر كريم ساجدًا شاكرًا لله.

رن هاتف جهاد، رقم غريب لا تعرفه.

ردت في قلق، فجاءها صوت نسائي غير مألوف.

- مدام

- نعم أنا جهاد من معي؟

- لا داعي لذكر اسمي الآن، هل يمكنني مقابلتك لأمر ضروري.

- بخصوص ماذا؟

- بخصوص زوجك.

توترت لكن شيئًا ما خفي دفعها على قبول مقابلتها، لكنها هي من حددت الساعة والمكان.

جلست تنتظر المجهولة في كافيتريا، فإذا بسيدة منتقبة تجلس أمامها وسألتها:

. مدام جهاد؟

قالت جهاد في خوف: نعم أنا هي.

فقالت السيدة تعرفها بنفسها: أنا هند.

صدمت جهاد من الاسم، فهي لن تنساه أبدًا، فقد نطق به لسان زوجها في وضع أصاب كرامتها في مقتل.

كانت على وشك الرحيل، لكن رغبتها في معرفة عمق علاقتهما هو ما دفعها إلى التماسك والصبر حتى ينتهي هذا اللقاء.

عادت هند لحديثها:

أخرجت تلك الورقة التي كتبها أحمد بخط يده، وورقة أخرى لم تفتحها بعد.

قصت عليها كل شيء حتى تلك اللحظة التي تمر، وهي تجلس معها بينما يجلس أحمد جوار هاجر بالمشفى، لكن بقي أن تعرف سبب هروبها.

أخرجت بطاقتها الشخصية، لتصطدم جهاد بالاسم

"هند جورج عبد الملاك"

وبخانة الديانة مسيحية!

نظرت لها جهاد في ذهول، ألجمت الصدمة لسانها، جف حلقها وتحجرت دموعها.

قالت هند "اليوم أنا هنا أخبرك بكل الحقيقة، فالوضع فاق تحملي، قد لا تشعرين بي وبحال امرأة سجنت نفسها بإرادتها من أجل من تحب، لقد أحببت أحمد لدرجة أنى تخليت عن أهلي وحياتي وديني، أردته هو فقط، لن أخبرك عن تلك الأيام التي قضيتها في خوف وحدي، لن أخبرك عن احتياجي له وخوفي عليه، كل ما أريده منك الآن يخص ابنتنا هاجر.

بكت هند بكاءً مريرًا، وأردفت لقد كنت أعلم أن تلك اللحظة آتيه، مهما حاولت الهرب من أهلي سيعثرون عليَ، أعلم أن تعصبهم الديني سيعميهم عن رؤية هاجر، ومهما فعلت لن يغفروا، كما أن أحمد تحمل الكثير ولا أدرى هل سيتحمل المزيد أم تمزقه بيننا سيعييه ويهلكه

أعلم كل ما يدور برأسك الآن، وكل تساؤلاتك المحتملة، لكن علاقتي بأحمد كان يمكن لها أن تكون طبيعية، لكن قُدر لي وله ديانتين مختلفتين، فتلك الأمور ليست باختيارنا، لكني و بكامل إرادتي اخترت طريق أحمد، ولعل الله جعل هاجر سببًا حتي أُسلِم، الوضع الآن يا جهاد أصعب من مجرد خلاف زوجتين علي رجل، فمؤكد الآن أن الشرطة أبلغت أهلي أنهم قد وجدوني، والمواجهة حتمية لا مفر، ولا

أضمن ما سيحدث؛ لذا تركت لك هذه الورقة، أرجو أن تعاهديني أمام الله أن تنفذي ما بها، فأنا بلا إخوة أو أصدقاء، ولن اثق في أحدٍ لأستودع له مثل تلك الأمانة، إلا قلب مثل قلبك النابض باسم نفس الرجل الذي لطالما عشقته.

مدت هند يدها بالورقة الثانية لجهاد، وطلبت منها قراءتها، التي لم تكد تنتهي من سطورها حتى أغرقت دموعها وجهها وبصوت مبحوح قالت جهاد: كيف تطلبين مني هذا، ومن ضمن لك أنى سأوافق وأعاهدك؟

تماسكت هند قليلا وقالت: أنت أقرب إنسان لأحمد، ودومًا كان يحدثني عنكِ بكل الخير، كما إنكِ ابنة خالته، فإن لم تتعاملي معه كحبيبة، ستعاملينه بصلة الرحم.

قالت جهاد بغضب: ألم تحسبا حسابًا لمشاعري؟ ألهذه الدرجة أحمد لا يراني؟

قالت هند: أقسم لك أن أحمد لا يعلم شيئًا عن لقائنا هذا، ولا عن تلك الورقة، رجاءً يا جهاد فكري قليلا، لا تحكمي قسوتك وغيرتك، حكمي عاطفتك وإنسانيتك.

لم تنطق جهاد ببنت شفة، وأنهت اللقاء ورحلت تمسك الورقة بيدها،

أصبح طريقها ضبابيًا تملأه الغيوم، لم تدر أهي دموعها أم أن هذا هو اللون الحقيقي للحياة.

لا تدري لم أخذتها قدماها إلى المشفى، وما الذي دفعها أن تقبل بالأمر، أهو حبها لأحمد أم لضعف ما في نفسها؟!! دلفت غرفة هاجر، وقف أحمد تبدو عليه علامات الحيرة والأسف، وألف سؤال بعينيه ينتظر ولو جوابًا واحدًا!!!

تتجاهل جهاد تلك التعبيرات، وتتجه إلى ذلك السرير، الذي تفترشه هاجر تلك الطفلة المسكينة، التي لم تخط بيدها أي قرار في حياتها بعد، تلك الخراطيم والمحاليل المعلقة، وصوت الأجهزة مشهد أقسى من أن تتحمله جهاد.

بألم ودموع ذرفتها عيناها اقتربت، وبلا إرادة مسحت على رأسها، انفجرت أمومتها الفطرية التي غلبتها، أزالت بعض العبرات من عينها، ودققت النظر في وجه الصغيرة، رأت وجهًا قريب في ملامحه من ابنها، ولم لا وهي أخته؟

قطع شرودها اقتراب يد أحمد منها، ولأول مرة تنتفض إثر لمسته...

عصرت عينيها من الألم، فقلبها ينزف ويصرخ مرارة حقيقية وغصة لا مثيل لها.

نطق أحمد أخيرًا بصوت حزين: جهاد ما الذي أتي بك إلى هنا؟

مدت له يدها بتلك الأوراق التي أعطتها لها هند، قسيمة زواجه وجواب وصاية بخط يد هند.

خفض أحمد رأسه وقال: سامحيني يا جهاد.

بكت جهاد، ووقفت حائرة هل تسامحه، ويكفيه ما هو فيه، أم تتركه بسبب زواجه.

وبصعوبة خرجت الحروف من بين شفتيها: لا تقلق يا أحمد في النهاية هي أخت ابني وابنة لزوجي وابن خالتي.

سالت دموعهما لتكون حائلًا دون الكلام، وبقي فقط حديثًا طويلًا بالعيون، يعبر عن كل ما تحمله القلوب من ألم وكل ما يلوج في صدورهم.

لازال باب الغرفة مفتوحًا، لتدخل هند متسترة خوفًا من أن يراها أحد.

اطمأنت لوجود جهاد، فوجودها يعني موافقتها على تبني هاجر، أشبعت عينيها بنظرة طويلة لطفلتها، وضمة طويلة لأحمد وطلبت منه ألا يتبعها، ثم غادرت تقصد تيهًا وضياعًا لا تعلم نهايته، قررت استعجال مصيرها فقد طفح كيل صبرها، ولم تنتظر، فذهبت لبيت

أهلها، وليكن ما يكون، طالما أن من تحبهم وتخشي فقدانهم في مأمن الآن، وبعيد عنها فلن يمسهما سوءًا...

ظن أحمد أن هند عادت إلى بيتهما في القرية، لكنه لم يجدها به، اتصل بها كثيرًا لكن الهاتف أُغلق.

أسبوع مر على اختلاف أحوال الجميع تماثلت كل من هاجر وجميلة للشفاء...

اختفاء هند أصاب احمد باكتئاب شديد.

لكن جهاد كانت تواسيه وتسانده، كما أنها تنفذ وصية هند حتى وإن كانت لازالت على قيد الحياة... تقرر إقامة حفل زواج كريم وجميلة بعد شهر.

دوام الحال من المحال، فبعد الغيوم مؤكد أن تأتينا أشعة الشمس لتشعرنا بالدفء والأمل، وبعد الليل الطويل يشرق نهارًا يخبرنا أننا نملك يومًا أخر بعمرنا لنعيشه، قليل من الراحة، كثير من السعادة، كان حال جميلة وسعادتها لا توصف، فأخيرًا ستستكين روحها بقرب من تحب، كانت تنظم كل تفصيله في بيتها، الذي سيجمعها بكريم، جفاها النوم من السعادة، لم تفارق كريم طوال الشهر.

وعادت الزينة والأضواء من جديد؛ لتزين واجهة بيت جميلة، لكن هذه

المرة ستتزين كما لم تتزين عروس من قبل.

قررت أن تسعده بكل ما أفتيت من حيل، لن تتواني أبدًا في إراحته.

وتم الزفاف على أجمل صورة، حرصت على التقاط الكثير من الصور خاصة مع جهاد وطفليها، هاجر وأدهم، وسارة فستان أبيض رقيق مثلها:

في قبو مظلم، كانت تدعو الله أن ينجيها، و يخلصها مما تلاقيه، كانت تصلي بعينيها، و ترتل القليل مما حفظته من القرآن، كانت تعلم عاقبة ما فعلته بإرادتها، كانت تعلم أن ذهابها إلى أهلها هو التهلكة بعينها، كانت ترجو بقلوبهم رحمة أو شفقة، أو حتي قسوة بلا أذي، لكنهم لم ينظروا لها إلا بنظرة الخطيئة و الدنس، أحرقوا جسدها، جلدوها، لا يلقون لها إلا بالقليل من الطعام، كانت تأكلها البرودة، تركوها في ذلك القبو بلا شيء علي جسدها ليدفئها، كانت تتذكر أيامها مع أحمد فتبتسم، تتذكر وجه هاجر وهي مريضة فتبكي، لم تندم ولو للحظة واحدة علي حبها له.

فُتح الباب لكنها لم تر أحدًا، بسبب تلك العصابة التي غلفت عينيها، لكنها ارتجفت، ففتح الباب لم يكن سوي جرعة تعذيب أخري، جذبها سجانها كانت تسير بخطوات مختلجه، تسحب نفسها من يده لكنه

أقوى وأعنف، وبدأت جلسة تعذيب بأداة جديدة، الكهرباء...

صرخت بأعلى صوتها، تستغيث، لكن لا مغيث لها من يده إلا الله، الذي منَّ عليها بغيبوبة تريحها قليلا من التعذيب، بعد ساعة سمعت همهمات قريبة منها، علمت أنهم قرروا تخليصها، خافوا أن تموت بين أيديهم ففضلوا إلقائها بالشارع، وكأنها قمامة وليست بشرًا...

استفاقت حاولت النهوض، ساعدها أحد المارة الرحيمين، أعادها إلى بيتها، واتصل بأحمد. الذي كان معها بسرعة الريح، لم يتخيل أن يراها هكذا، مشوهةً وتنزف، أحضر طبيبًا، أخبره إنها نزفت كثيرًا، فلم تتحمل هند فجسدها الهزيل تعذب بالقدر الذي يفنيه.

أيام قليلة وفاضت روحها..

شهر العسل كسره خبر وفاة هند، الفاعل مجهول، لكنه لن يظل مجهولًا فسيأتي يومًا تشهد جثة هند على قاتلها، ستنطق ولن تخفي شيئًا، يومًا سيقف كل قاتل أمام قتيله، ويقتص منه. حركت قضية هند حس كريم الصحفي، كتب مقالًا قويًا...

إن ما توارثته عقولنا المتحجرة عن حرية المعتقد، ما هو إلا بقايا روث جمال الجاهلية الأولى، حيث ترك أهل الأهواء الشخصية والعصبية الدينية أصول المعتقد، وقننوا من هرمونات غيظهم وحقدهم قوانين

لم يقنها الله في كتبه، لا من عهد آدم
ولا بنهاية محمد "عليهم الصلاة والسلام" وإنما اخترعها الإنسان.
إن يتحكم بأرواح البشر، ويقتل كل من فارق دينه إلى دين آخر، وقال تعالى على لسان: محمد لكم دينكم ولي دين.
أي إنسانية تلك، التي تزهق بها روحًا، خرجت من دينك إلى دين أخر":
تمر الأيام بتعاقب ليلها ونهارها، مسرعة، سرعة الحمائم في الترحال، ليست سعيدة دائمًا فالأقدار تخبئ ما لم يكن في الحسبان.
في تمام الثالثة فجرًا فزع بيت كريم علي صوت طرقات عالية على الباب احتضنت جميلة سارة إثر فزعتها، ويتجه كريم نحو باب البيت، ليفتحه فيجد سواد يحيط رجلًا، يخلفه ثلاثة رجال متشحين بالسواد، مندفعين نحو البيت يفتشونه بكل همجية غير مراعين لحرمته، وقف اثنان منهما أمام الباب رافعي الأسلحة، وآخرين يجريان عملية التفتيش التي لم تخل من تمزيق الأشياء، وألقاء الملابس وإفراغ الخزانات.
ثم أخذ أحدهم الحاسوب الخاص بكريم، وعمد الآخر إلى عكاز قديم كان موضوعًا أعلى الدولاب فسأل كريم لمن هذا؟
أجابه كريم إنه لأبي.

فأخذه الضابط وقام بلفه بقطع من القماش الأبيض، ثم وضع غمامة على عين كريم أمام سارة وجميلة المنهمرتين في البكاء، وحملوه إلى الخارج، وعندما فتح جاره باب البيت ينظر ماذا يحدث فأشار الضابط إلى العكاز المحاط بالقماش الأبيض على أنه سلاح.

وإنه تم القبض علي كريم متلبسًا بحيازة سلاح دون ترخيص، حتى لا يعترضه أحد، ويزج به في المعتقل بقضية سياسية ملفقة.

أربعون يومًا، يبحثون عنه في كل قسم شرطة، أربعون يوما ينفطر قلب جميلة عليه، سيجن جنونها، أبعد أن التقيا يُفرَقُ بينهما بتلك القسوة؟

لم تجد إجابات لأي من أسئلتها، ولا حتى لسؤال سارة المتكرر عنه.

فكيف ستخبرها أو حتى ماذا ستخبرها؟!!

تحتضنها كل ليلة في ألم تؤكد لها أنه بخير، وقريبًا سيعود...

لم يتوان أصدقاؤه لحظةً في البحث عنه، حتى وصل إبراهيم صديقه المحامي، إلى ذلك الضابط الذي أفرج عن فارس منذ سنوات مضت، لقد أصبح أعلي رتبةً الآن لكنه نقل لجهاز أمنى سري.

وبعد أن توسل إليه كل من إبراهيم وفارس أن يساعدهم في البحث عن كريم، كتبا له بياناته وتاريخ القبض عليه.

وبعد أيام عاود الضابط الاتصال بهم؛ ليخبرهم إنه سيكون في قسم الشرطة التابع له لإجراء التحقيقات القانونية معه.

ولم يتم تحديد اتهام محدد له حتى الآن.

اصطحبت جميلة سارة في صباح ذلك اليوم، كما اصطحبت دقات قلبها التي يسمعها كل من يقترب منها ذاهبةً إلى قسم الشرطة.

وهناك رأت الهوان والذل، الذي يتسم به كل من تدلف قدماه إلى هذا المكان، بتهم سياسية.

كريم هزيل شاحب الوجه، متسخ الملابس قادمًا من غرفة أخر الرواق الأرضي، بقسم الشرطة بعد أن ناداه الأمين باسمه قائلًا: زيارة.

يفصل بين جميلة وكريم غرفة أخرها باب حديدي تتوسط فتحة صغيرة، تسمى النظارة وتلك التي لا ترى منها سوي بعض وجه السجين.

اقترب كريم عارجًا إلى ذلك الباب مستندًا على ذلك الأمين، لا يقوى على السير مما لحق به من تعذيب.

وما أن وصل بادرته جميلة بسؤال: أين كنت هذه الفترة؟

أشار كريم برأسه لا أعلم عن المكان شيئًا.

انهمرت الدموع كشلال يصحبها نحيب، وأشار بيده لجميلة أي اذهبي ولا تأتي هنا أبدًا.

وأعطاها ظهره عارجًا إلى غرفته، بملابسه البيضاء الداخلية غير المسموح له بارتداء غيرها.

حملت جميلة سارة ونحيبها لم يتوقف، تاركةً القسم وخرجت.

تحدد موعد أولي جلسات محاكمة كريم، التي كانت الفرصة الأولي لجميلة أن تري فيها كريم عن قرب، لتسأله عن حاله قبل بداية الجلسة.

.كيف حالك؟ هل تعلم أين كنت؟

قال وهو يبكي:

- أقسم لك لا أعلم عن المكان شيئا، وأما عن حالي فكما يبدو لك فأر تجارب لشتي أدوات التعذيب، الذي لا أعرف سببه إلى الآن.

بدأت الجلسة فلزم الجميع أماكنهم، لم يأخذ الدفاع وقتًا، وقررت المحكمة التأجيل...

الحال يسوء وكريم صحته لا تتحمل، تمر الأيام عليهما دهورًا، تأجيل يعقبه تأجيل، حتى جاءت الجلسة الأخيرة، لتنتهي قضية كريم بتهمة زعزعة الاستقرار القومي، التي كان سببها مقالة، وصفت بالعنصرية الدينية وأنها أشعلت الفتنة الطائفية.

ارتقي القاضي مجلسه، ودق بشاكوشه ليصمت الجميع، إلا دموع

جميلة التي كانت تستشعر الخطر اللاحق بحبيبها...

حكمت المحكمة حضوريًا بعشر سنوات للمتهم.

اتبع الحكم أهاتٍ لم يسمعها سوي الله، فلم يُنظر لهما ولن ينظر لهما بعين رحيمة سواه.

عادت جميلة تحمل ظلمًا يكفيها ما بقي من عمرها، ألم الفراق أصبح أكوامًا على كاهلها، تحمل معها هم تلك الصغيرة، التي حرمت من الأم ومن ثم الأب...

تحملت جميلة المسؤولية كلها، ظنت إن الحياة كلها لون واحد وهو الأسود، وإن كل ما قدر لها في الحياة هو الوداع.

وداع الأمل، وداع الحبيب، لكن ضربات القدر تهرنا بلطف خفي يكشف عنه عندما يشتد الكرب، فقد رزقت بجنين تحرك بأحشائها، سيربطها ما بقي من عمرها بكريم...

وبيوم مولد سارة اجتمع الأهل للاحتفال، خرج أحمد من اكتئابه نوعًا ما، لكن مؤكد أنه لن يستغرق وقتا طويلًا به، فجواره زوجة، لا يغمض لها جفن إلا وهو قرير العين.

وتتفاني من أجله، ومع كل لحظة وأزمة، تزداد له عشقًا، فهو حبيبها الأول والأخير، اعتادت هاجر أن تناديها بكلمة أمي، التي تسعد قلبها...

وجميلة تحسب الأيام في انتظار اليوم الذي يفرج فيه عن كريم، قررت أن تسمي طفلها كريم إن كان ذكرًا، وهند إن كانت بنتا، وهكذا سيبقي الاسمان خالدان في وجدانهم رغم اختلاف نوع وداعهم وفراقهم.

تمت

obeikan.com

الضريح

الأمير فتحي عزام

obeikan.com

obeikan.com

ينسدل ستار الشمس؛ كي يخفي وضوح النهار؛ ليأتي الليل بعتمته؛ لا تدري أ ليل هو أم ظلمة القلب التي أنارت للجهل طريقًا بين العقول؟!

ضريحٌ صغيرٌ في قرية صغيرة، أنبتت فتنةً نائمة منذ عهود، على الرغم من حداثة الضريح.

تحت ظل شجرة التوت أُنشِئ؛ بطلاء أخضر من الجير تزيّن، بنور أخضر في الداخل تلون.

"عنايات" عجوز شمطاء تخطاها العمر، وترك على وجهها آثار الهِرَم، فهي ابنة أخ الولي "الشيخ نعمان" ...

تحرس الضريح؛ تحكي للمريدين عن كراماته، وكيف أنه عاد من الموت بعدما دفن في القبر لمدة أربعين يومًا!!

شاهد بالفعل الكثير من أهل القرية "الشيخ نعمان" وهو خارج من قبره بعدما دفن، لكن لم يبقَ منهم أحد على قيد الحياة غير" عنايات " فقد مر ستون عامًا أو يزيد.

لكن ما هي قصة الضريح؟ كان هذا سؤالًا قد جال في خاطر الشيخ "سالم" أستاذ الشريعة في المعهد الأزهري بعد تلك الفتنة.

حاول الشيخ أن يثني الناس كثيرًا عن التقرب للضريح، عن الطواف من حوله عن الذبح والنزور والتعبد به تقربا لله، بل زاد من ذلك أفعال الدجل والسحر من قبل السيدة عنايات، التي ذاع صيتها في جلب الحبيب، وتحديد المولود إن كان ذكرا أم أنثي، حاول الشيخ أن يثني الناس في خطبة الجمعة، وأثناء إلقاء الدروس للطلبة؛ فهو على يقين بأن مَنْ في القبر لا حول له ولا قوة، وأن الأمر كله بيد خالق كل شيءٍ، وان الله قريب إلى العبد كحبل الوريد.

لكن الأمر كان أكبر منه، فهناك مَنْ شاهد الشيخ عائدًا من الموت، واعتبروه معجزة، وكأنه رسولٌ بُعِثَ لهم؛ كي ينير لهم طريق الجهل، واختلاط الأمر عليهم من كثرة الشيوخ والفتاوي، والجهل المشتعل بعقولهم؛ مما جعلهم لا يميزون بين الحق والباطل، بل يسيرون وراء كل كلمة يظنون أنها تُطفئ نار جهلهم المشتعل، وإن كانت هذه الكلمات تزيد الجهل أضعافا.

فتنة كبرى حدثت صباح اليوم في القرية بسبب الضريح؛ مجموعة من الشباب مطلقي اللحى مقصري الثياب البيضاء حاولوا هدم الضريح.

استغلوا عدم تواجد السيدة "عنايات" وحاولوا هدمه؛ اعتقادًا منهم بأنه بدعه ولابد من هدمه، ونسوا بأن للميت حق، وأن للقبر حرمة، ولا يضر من بالقبر بما يفعل فوقه إن كان خيرًا أم شرًا لكن نظرًا لاستنفار أهل القرية من هؤلاء الشباب، ومن أفعالهم الغريبة ومن تكفير كل من يخالفهم في الرأي، بل وصل الأمر بتحريم الصلاة في المساجد التي يكون إمامها شخص يحاربهم أو ينكر عليهم فكرهم، أو يخالفهم في الرأي؛ فلقد بنو مساجدهم، دورهم، زواياهم، معيشتهم، بل بنو إماراتهم.

تتبع أهل القرية الشباب، وعندما بدأوا الهدم وقفوا لهم بالمرصاد....

حدثت المواجهة أُصيب مَنْ أصيب؛ سالت بعض الدماء...

دماء الأقارب والأهل....

دماء المسلمين....

انزعج "الشيخ سالم" مما حدث؛ هو يعلم تمام العلم ما جزاء من يرفع السلاح في وجه أخيه المسلم، ماذا يفعل؟

هل يسير مع من ساروا، ويصدر حكمًا بأن هؤلاء الشباب إرهابيون خارجون عن الدين ويحل دمهم؛ أم يعلن أن الضريح ما هو إلا قبر، وأن المريدين والطائفين به يسيرون وراء بدعة ضالة؛ تؤدي بهم إلى قاع جهنم؟؟!!

جلس "الشيخ سالم" في بيته ثلاثة أيام، لا يخرج منه إلا للصلاة فقط، ولا يُكلم أحدًا بل يكتفي بالرد على السلام، وإن قلَّ من يقرئه السلام لسلبية موقفه.

قرأ القرآن... وختمه

انزعجت منه مكتبته الكبيرة من كثرة البحث في كتبها!!

بعد مرور الثلاثة أيام أيقن "الشيخ سالم" أن الفتنة تُرد بالفكر والعقل بجانب القوة.

لا يوجد أي دليل في أي كتاب على أن أحدًا قادرٌ على أن يُبعثُ من الموت.....

يعلم أن المدد والعون لا يأتي إلا من الله فقط.

ويعلم أيضًا أن ما من مسلم يرفع السلاح في وجه أخيه المسلم إلا ولعنته الملائكة...

لكن كيف سيرد الفتنة؟؟

كيف سيواجه أهل القرية؟!

لم يعد أمامه غير "السيدة عنايات"...

لا يوجد أحد غيرها شاهد "الشيخ نعمان" خارجا من قبره؛ لكن كيف وهي من تجتذب الناس إلى الضريح وتدافع عنه؟

حاول الاقتراب من الضريح؛ ليدرس الأمر عن قرب، تتبعه بعض أهل القرية يساورهم الشك منه؛ لعدم اقترابه من الضريح منذ سنوات، وموقفه من الأضرحة والتشبث بها.

اقترب من الضريح بل أنه جلس بداخله يسترسل بالحديث مع "السيدة عنايات"؛ كي يعي ما ورائها...

جاء يتحدث كالمريدين طالبًا البركة منها؛ لكن هيهات فالعجوز تعلم من هو، وتعلم معتقده جيدًا، بل أنها اختصرت عليه الأمر بأن طلبت ممن

obeikan.com

تتبعوه أن يحضروا بقرب مجلسهم؛ كي يسمع عامة الناس حديث "الشيخ سالم"!!

تصبب الشيخ عرقًا وتلعثم الحديث في فمه، ولم يجد من ينجده غير أذان العصر، فطلب الانصراف للصلاة، ومن ثم يعود لكنه لم يعد!!

في صباح اليوم التالي حضر مأمور المركز إلى القرية؛ يتابع القضية وعند الظهيرة اجتمع ب "الشيخ سالم" نظرًا لصلة القرابة التي تجمعهما، حاول "الشيخ سالم" أن يخاطب المأمور بالعقل، لكنه وجد من المأمور الأمر والزجر طالبًا منه أن يتصدى لفكر أصحاب اللحى فقط.

بعد صلاة العصر توارى "الشيخ سالم" محاولًا الاقتراب من الضريح؛ حتى لا يلمحه أحد من المارة ويتتبعونه مرة أخرى!

عندما اقتربت الشمس من المغيب لاحظ "الشيخ سالم" العجوز تغلق باب الضريح، وتلملم أشياءها وبجوارها رجل يحمل لها كيسًا كبيرًا على ظهره، ومن ثم يضعه على حمار ثم انطلقا يتتبعهما "الشيخ سالم" من بعيد!!

عندما ابتعدا عن القرية استقرا في مزرعة للقصب، على أولها كوخ صغير من البوص، طلبت العجوز من الرجل أن يُنزل الكيس ويتركها ويعود!

بعد لحظات غاب الرجل عن الأنظار، ودخلت العجوز الكوخ بمفردها و"الشيخ سالم" يتوارى منها بين أعواد القصب، يختلس النظر لكنه لم يستطع أن يري ما تفعله بالداخل! بضع دقائق وخرجت امرأة من الكوخ، يبدو عليها تقدم العمر ترتدي ثيابًا فاخرة، ونظارة سوداء، وتغطي رأسها بقبعة جميلة وبيدها حقيبة سفر.

لم يكترث الشيخ لها أعتقد أنها كانت متواجدة في الكوخ من قبل. ظل واقفًا قرابة الساعة ينتظر خروج العجوز، بعدما غادرت السيدة الجميلة، وسارت حتى وصلت للطريق، ومن ثم ركبت سيارة أجرة وغادرت...

غاب آخر بريق للشمس فأظلم المكان تمامًا قلق الشيخ...

حاول الاقتراب لكنه خاف أن تراه العجوز وتعتقد أنه يراقبها..

بهدوء اقترب ودخل الكوخ فأصيب بالذعر! لا وجود للعجوز والكيس خاوٍ، لا أحد.

مكث الشيخ طيلة الليل بعيدًا عن الكوخ ينتظر طلوع الصباح ليتفاجأ بالسيدة الجميلة تأتي مرة أخرى وتحمل حقيبتها، وتدخل الكوخ مرة أخرى لتخرج بعد ذلك منها عجوز شمطاء بملابس مهلهلة، وعلى ظهرها كان الكيس المصنوع من القماش فارغًا!!!

على الفور عقل الأمر جيدًا؛ وعلى الفور اجتمع مع المأمور في مكتبه وقص عليه الأمر.

حاول المأمور أن يتملص من القصة، وأن يضع نصب عينيه فقط محاصرة ذوي اللحى، وإحضارهم!...

لكن الشيخ أقنعه بأن يهتم بالأمر؛ فكثيرًا ما ساعد الشيخ المأمور في قضايا الثأر والخلافات العائلية.

انصاع المأمور لكلام الشيخ فلربما يجد شيئًا جديدًا مثيرًا.

تتبع المأمور والشيخ السيدة الجميلة ليلًا، حتى وصلا إلى منزلها الكبير، المحاط بسور من الأشجار يخفي ما بداخله من جنة خضراء

وحمام للسباحة. طلبا الدخول إلى البيت، المأمور بملابسه الرسمية، والشيخ بلباس الأزهر ومن خلفهم العساكر!! انصاع الخادم ثم تركهم في بهو المنزل ليستدعي السيدة.

حضرت السيدة وكان كل من في البيت منزعجين...

رجال ونساء وشباب وأطفال.. أسرة كاملة تعدت العشرين فردًا، حضروا جميعًا ليروا ماذا اقترفت جدتهم! ما أن رأت السيدة الجميلة الشيخ والمأمور؛ ارتعدت أوصالها، نظرت لمن خلفها يخاطبها عقلها هل علما الأمر؟ لماذا الشيخ والمأمور متواجدان؟؟

لملمت شتات نفسها، وبصوت جهوري خاطبت المأمور: من أنت ولماذا جئت؟!

تقدم إليها المأمور وبصوت هامس قال: أحقا لا تعلمين من نحن؟

- ألا تعرفين الشيخ؟ ولماذا جئنا؟

أعتقد أنه لابد لنا أن نتحدث سويًا بمفردنا؛ كي لا يعلم الجمع من هي السيدة "عنايات"!! طلبت السيدة "عنايات" أن ينصرف الجميع، ودلفت معهما إلى حجرة مجاورة، وأغلقت الباب...

وقف الشيخ منفعلًا محاولًا مخاطبتها، لكن السيدة عنايات أشارت له بيدها كي يصمت لتقول:

- سأخبركم بالأمر شريطة ألا يعلم أهل بيتي شيئًا... نعم، أنا العجوز... نعم، أنا "عنايات" أنا ابنة أخ "الشيخ نعمان"، حبيبته وقرة عينه، التي كان يعتبرها ابنته، بعدما منع الله عنه نعمة الإنجاب...

اقترب الشيخ منها سائلًا:

- كيف خرج "الشيخ نعمان" من قبره حيًا بعدما دفن أربعين يومًا؟؟؟

قاطعه المأمور مستفسرًا:

- بل هل فعلًا دفن حيًا أم قتل؟؟ لقد قرأت ملف قضيته ولم أعِ منه شيئًا!

ضحكت العجوز قائلة:

- كل يغني على ليلاه؛ كل له مبتغً يتمناه ولمَ لا؟ فلقد حققت مبتغاي!!

نعم، قتله أبي وعمي الأصغر؛ قتلاه ولم يقتلاه!!

لا تنظر إلى هكذا أيها المأمور ليس لغزًا بل حقيقة!!

اجتمع أبي مع أخيه الأصغر وعزما على قتل أخيهم الأكبر!

لم ينتظرا موته ليرثاه فليس له ولد أو بنت!!

استرقت السمع وهما يتفقان على وضع السم في شرابه؛ أبدلت السم بدواء والدتي المنوم، التي كانت تتعاطاه بسبب مرضها النفسي، الذي سببته معاملة أبي لها.

حملاه جثة لكنه كان جسدًا نائمًا، وضعاه في التابوت دون أن يغسلاه!!

كفناه ودفناه!!

دفناه في قبره الذي يرتفع عن الأرض قرابة المترين، ذي باب حديدي في واجهة القبر، باب صغير يكفي لدخول رجل واحد مطأطأً رأسه.

هالا عليه التراب ثم تركاه...

أغلقا باب القبر بل أقاما عليه بالطين حائطًا!

جن جنوني؛ عمي الأكبر حي بداخل القبر ماذا أفعل؟

ماذا أصنع مع من كان دائم العطف عليّ؟

كان أحن عليَّ ممن اعتقدت أنه خُلق كي يحنو عليَّ!!

هل أهدم الحائط؟

لكن كيف لي بفتح الباب؟

بعدما انصرف المشيعون حفرت حفرة أسفل القبر، وحاولت نزع حجر صغير من الحائط أسفل الحفرة، استطعت أن أنزع حجرًا صغيرًا سمح لي أن أرى يده وهي تمتد خارجةً تحاول الصراخ فقدمت له الطعام والماء.

كل ليلة أذهب أعطيه الطعام والماء، ثم أضع الحجر مرة أخرى ثم أخفي الحفرة من جديد!!

بعد مرور الأربعين يومًا، وعندما تُوفيَ أحد أقاربنا، جاء الرجال لفتح القبر؛ لدفن الميت ففوجئوا به بالداخل مرتعدًا خائفًا وخرج منزعجًا منهم.

هاجم الناس وهو يصرخ كالمجنون؛ ففُزِع الناس؛ وفرَّوا من أمامه، وأخذت قدماه تخطو بعيدًا في كل مكان كمن مسه جان، حتى أغمي

عليه؛ ونقلوه إلى البيت لكنه سرعان ما مات بعد خروجه من القبر بساعتين!!!

- صدق كلامي!!! لم يكن ميتا حين دُفن!!!

ضحكت العجوز وقالت:

- وهل يُبعثُ أحدٌ من الموت؟؟ أيها الشيخ من أين حصلت على شهاداتك؟!

وقف المأمور مذهولًا ينظر إلى جنبات المكان قائلًا:

- يبدو أنكِ تستغلين جهل الناس وبنيتِ ذلك القصر!!

ردت بثقة:

- نعم أيها المأمور... الذنب ليس ذنبي؛ الذنب هو جهل الناس!

- سيدتي الذنب ذنب من يعتقد أن الجهل بضاعة، يستطيع أن يبيعها للناس لكسب المال، لن أتخذ معكِ إجراءً الآن، لكنني سأنتظرك بمكتبي غدًا؛ كي لا يعلم الجمع الملتف خارجًا سر ثرائهم الفاحش!!...

"شيخ سالم" أعتقد أننا فهمنا أمرًا، وينتظرني أمر آخر لابد أن أقوم به!

- أعلم سيدي المأمور... ذوي اللحى!!...

لا ألومك على شيء، وأنا أيضًا ينتظرني جهل كنت سببًا في إكثاره، ربما كانت سلبيتي سببًا في إنبات جهل دائم في بلدتنا...

تمت

obeikan.com

أنا وبيسان

أمنة العثمان

obeikan.com

obeikan.com

هنا على هذه البقعة الطاهرة من الأرض، شاء القدر أن تتحول القوة إلى ضعف والسعادة إلى شقاء.

في هذه اللحظة تموت أجيال وتولد أجيال، وتتصارع الحياة القاسية، وتسعى لتكون منارة للأجيال القادمة هنا بين صرخات الثكالى وعلى نيران المدافع والطائرات كانت أم فلسطينية تتألم وتصرخ بتمزقات مخاضها، كصرخات الرصاص في أضلع العُزل المسالمين.

تصرخ صرخات الفرح بقدوم مولودها أثناء خروجه من رحمها حيث علت صرختها؛ لتعلن ولادة الشمس المشرقة الوجنة، ولادة ابنة فلسطين اسمها بيسان.

ـ أنا أحمد ذاك الطفل، ذو الخمسة أعوام، الجالس متكئًا على عتبة الدار في بيت مقابل لبيت هذه الأم القوية، الذي يبعد قليلا عن بيتي، في الوقت نفسه تلاشى بيتنا من أمامي، ومات والدي في القصف الهمجي لبيتنا الصغير الجميل؛ عشت بعدها مع عمتي العجوز لثلاث سنوات، إلى أن ماتت هي أيضًا إثر مرضها وفقرها المدقع لم يتبق لي أحد سوى جارنا أبو بيسان العم صالح، الذي كفلني ورعاني كولد من أولاده. هناك وجدت في عائلته ما فقدته بالحرب، من الإحساس بروعة

نطق كلمة ماما وبابا، وجمال الشعور بأن هناك أحد يهتم بك، فواساني هذا الشعور لأستمر في هذه الدنيا.

كبرت بيسان على يدي رعيتها واعتنيت بها، وأحببت شقاوتها عندما تبكي وتضحك وتداعب شعري ووجهي، كانت بالنسبة لي طفلة مدللة على قلبي، كانت ابنتي قبل أن تكون اختي، وقبل أن ينبت الحب في قلبي تجاهها....

استمرت الأيام تمضي بملحها وسكرها، تارة أحزان وموت وافتراق، وتارة أفراح وعزائم أعراس، واحتفال بمولود وناجح، وعائد من الغربة، وأحيانا أخرى تتضارب المعيشة وتصبح ضنكة؛ بسبب دناءة الاحتلال وسرقتهم أرض فلسطين رغمًا عنا، بالاغتصاب والقتل والسجن، فقد كانت حياتنا تنهار بانهيار المنازل بين أنياب دبابات الكيان الصهيوني الغاشم، فهم لم يكتفوا بما دمروه وأحرقوه بل طمعوا بالبيوت البسيطة لأصحابها الفقراء، ووصل زحف احتلالهم ليصل بلدتنا الصغيرة، ويحين دور بيت أبي بيسان، حتي يقيموا مستوطناتهم الخاوية من الأفراد، لكن وجودها ما هو إلا احتلال واغتصاب لنا.

وقف العم صالح بوجه المدفع معلنًا رفضه الانصياع والخروج من بيته.

"قال الصهيوني: فلتخرج أنت وعائلتك حالاً مهددًا له بقتله بإشارة من سلاحه المشهور بوجه العم صالح.

وبكل قوة وشجاعة يبعد أبو بيسان السلاح بيديه ويقول: بئست، لست بخارج من بيتي إلا على جثتي، ما عاش كلب مثلك لينجس حرمة داري الطاهرة.

فما كان من الصهيوني الغاشم إلا أن ضربه بظهر سلاحه على رأسه؛ فأسقطه أرضًا ثم أشار إلى جنوده: أي اهجموا.

تعثر أبو بيسان وقام يدافع بيده هذه المرة.

حتى إن بيسان ابنة العشر سنوات لم تسلَمْ منهم.

أمسكت حجرًا كان ملاذي الأخير؛ فرميته بوجهه فأدماه؛ فهاج كالوحش المفترس عليّ يريد ضربي؛ فيندفع العم صالح المحاط

بالبنادق ويخطف بسرعة البرق مسدس الصهيوني، ويضرب ويطلق علي الجندي الرصاص؛ فيصيبه لكن لم يقتله فاعتقلوه"

جروه للسجن ودمه ينزف، وأخذوني معه، وبقينا هناك بالجوع والمرض أسبوعين. عانى فيها أبو بيسان المرض من جراء سجنه وتعذيبه، وفظاعة السجن وشكوى السجناء لحال كلٍ منهم، والخوف على بيسان وأمها لم يغادر ناظره.

اشتد المرض إلى أن أنهكه، وانقضّ على أنفاسه فمات شهيدًا عظيمًا، سقى بدمه تراب الوطن.

قبل استشهاده أوصاني ببيسان أمانة في عنقي.

في قرارة نفسي عزمت عندما أكبر أن أتطوع في جيش المقاومة الفلسطينية، أن أحارب من أفقدني كل عزيز علي قلبي، أن أهب حياتي فداءً لأبي وأمي وأهل بيسان.

obeikan.com

رحمه الله العم صالح ذاك البطل الفلسطيني، الذي لا يأبى الذل والهوان، فقذارة حذاءه تساوي كل الكيان الصهيوني واتباعهم الإرهابيين، بما يدعونه تحت شعارات الإنسانية وحقوق الإنسان، بؤسًا لهم ولمن شد على أيديهم المجرمة.

شاء القدر أن أخرج بعد عذاب مرير؛ لأجد بيسان مريضة من شدة الجوع والبرد، وأمها قد أصابها الشلل لآلمها وحزنها الشديدين على استشهاد زوجها، واغتصاب بيتها.

عشنا في مخيم أُعد للاجئين الفلسطينيين من أغلب القرى النازحة رغمًا عنها، وعشنا بخيمة لا تدرأ حر الصيف، ولا ترد برد الشتاء القارص، تعهدت نفسي على سهر الليل كله على راحة بيسان وأمها، التي لم تتحمل ما جرى؛ وماتت بعد سنوات من التشرد والجوع والرعب، ولم يعد لبيسان أحد سواي.

عندها بدأت بيسان تتغير، وقل مرحها ولعبها، ولمع بعينها حقد وكره دفينين، وباتت تنظر للحياة نظرةً جديدةً، لم أكن أظن أنها نظرة حقد ورغبة للانتقام في بادئ الأمر فهي بنظري ماتزال طفلة، رغم بلوغها الخامسة عشرة، والأطفال ينسون مع الأيام ولكنها، أمست تتوعد وتهدد وتشتكي لي الاحتلال، وتهيم في عوالمها الخيالية سارحةً دائما.

ومرت الأيام بسرعة الساعات، وبطيء الأوجاع والآلام وصعوبة الحياة

حصلت بيسان على الشهادة الثانوية، وانتسبت لكلية الآداب قسم التعليم التربوي، وأصبحت في العشرين من عمرها، فتاة جميلة كزنبقة نبتت في أول الربيع.

من قبلها بأعوام تخرجت أنا من كلية الإعلام، وأصبحت صحفيًا وعملت في جريدة الوطن محررًا صحفيًا.

في كل يوم كنت أحبها أكثر مما مضى، وأعشق عفويتها بالكلام وطلاقة التعبير لديها، وطيبة قلبها وعشقها للورود والطبيعة؛ كانت تختلف عن الفتيات في جيلها تميل، للقوة والجرأة وحب الانتقام لوالدها.

وبعيدًا عن وجودها معي، ولمعرفتي بعدد من المدرسين المناضلين انتسبت لمنظمة سرية للمقاومة الفلسطينية، وكان عملي كصحفي يساعدني لأتحرك بحرية بين الفصائل، وأجمع من المعارضين للصهاينة من جنسيات أجنبية ويهودية بعض المعلومات الهامة.

لم يقف الاحتلال عند أية حدود، بل تخطاه لكل شبر من أرضنا، وكأنهم يقولون لنا بأننا ضعفاء خائفون لا نملك حولًا أو قوةً، واستمروا بالزحف وزهق الدماء بمجازرهم الدموية اللاإنسانية، التي تدل على الهمجية والعدوان والنازية.

استمر عملي في المقاومة سرًا لكن اليوم اكتشفت بالصدفة باجتماع مع رؤسائي حدثًا أفزعني: بيسان ابنة قلبي طلبت الانضمام إلى المقاومة.

وقتها أحسست بسكين ينغرس بقلبي، ويخلعه من حنايا صدري، فكيف لوردة حمراء أن تنبت في تربة مالحة مدمة بدموع الأطفال والكبار وجراحهم، دون أن تعيد تضرج اللون الأخضر من جديد إلى أرضنا، عوضًا عن تدمي اللون الأحمر

ذهبت إلى بيسان استفهم منها عما يدور بخلدها.

. بيسان هل هناك أمر تودين إخباري به؟!!

. لا أيها الصحفي لا جديد.

. بيسان انظري بعيني أنت تكذبين.

"تغمض عيناها بكفيها " وتقول: نعم مثلما كذبت علي، وأخفيت عني سرك أحمد.

.لم اكذب عليك في شيء، وماذا أخفيت عنكِ، هيا تكلمي "بعصبية"

ـ ضحكة خجل ونظرة حزن يغلفها الحب من بيسان تجاه أحمد، وتلمس يدها لكتفه لتهمس بأذنه:

أنا أعلم إنك عضو في المقاومة، وأنا أعلم كثيرًا عن المقاومة، وكنت أساعدهم من قبل، أثناء الجامعة لكن كانت مساعدات بسيطة، دون الحصول على شيء ضخم

وها أنا هنا الآن حصلت على كل شيء.

يمسك بذراعيها ويقول: بيسان كل شيء ماذا بعقلك هل جننت؟!

ـ لا أنا بكامل قواي العقلية، وعن ترصد وإصرار قريبًا سيتم التعامل معي على إنني استشهادية وسيتم تدريبي على القتال.

استشاط أحمد غضبا؛ وجن جنونه لما سمعه منها وقال بعصبية:

سأخبر القادة بمنعك، أنت لا تصلحين لهذا الأمر، ما بك حبيبتي

بنظرة سخرية إلى كلام أحمد عبرت عن سخطها مما يقول..

أحمد أنت تعلم جيدًا ما ألم بي وبأهلي، هل تعتقد حقا إنني لو أحببت وتزوجت؛ وأنجبت دون أن أنظر إلى بلدي، أو أن أساعد أهل بلدي؛ سيرحمني أبنائي بعد ذلك. أحمد نحن نصنع للغد اسم للشرف والعز؛ ليأتي غيرنا يكمل مسيرة النضال والمقاومة، نحن نصارع من أجل إثبات أحقيتنا في أرضنا، الاستسلام والعيش بالعار دون أن نثبت ذلك ما هو إلا هزيمة نكراء للعروبة فينا.

أحمد أعلم كم تحبني

هرب أحمد بعينيه عن بيسان التي تحدثه وخداها محمران كالتفاح.

أحمد انظر إلى أنت تحبني وتريدني زوجة لك، وأنا أثق بك، وأتمناك زوجًا لي، أنت كل شيء بالنسبة لي، أبي وأمي وحبي وأخي وسندي.

إن كنت تريدني زوجة لك فلما لا، أن نكون زوجين بالجنة لا بالدنيا، ضع يدك في يدي؛ لنترك بصمة مجد ونثبت أحقيتنا في ديارنا، نلملم تلك الدماء التي سالت من عروقنا، ونشعل بصيص الأمل المسجون بالعتمة.

ضمها إليه ممسكًا لها، وغمرها بين أضلعه بحنو قائلًا:

بيسان أنت زوجتي الحبيبة في الدنيا والآخرة، ولن أتنازل عن تحقيق حلمك هذا ما حييت.

لم يمض يومان حتى وصلني خبر بأنني في الطليعة؛ للقيام بالعملية مع بيسان وبعد فترة طويلة من التدريب. أمّنت لنا المنظمة بطاقتين شخصيتين لصحفي يهودي معروف .كانوا قد خطفوه ولا أحد يعلم به .وبيسان بهوية خطيبة يهودية بريطانية تعمل مترجمة لغة.

وفي أول عملية كانت في مطعم للضباط الصهاينة، حيث دخلت وبيسان بأسمائنا المستعارة شارلي والياهوو، وعندما دخلت بيسان الحمام وضعت حقيبتها، وكانت تحمل قنبلة موقوتة مضعفة المفاعل المتفجر، من صنع الفدائيين، وقنبلة مثلها بحقيبتي فتركناهما في الداخل وخرجنا، وركبنا السيارة بسرعة، وماهي إلا دقائق وانفجر المطعم ودوت صفارات الإنذار، وكانت حصيلة هذه العملية عشرين قتيلاً وجرح أربعين صهيوني، مما أرهب المعتدين وزلزل قلوبهم الجبانة.

وشاركنا بعدة عمليات بعدها، وساهمنا بتهريب الأسلحة لباقي الفرق، ثم أُطْلِعت على عمليات أخرى تحتاج لتخطيط ودقة بالتنفيذ،

فرشحوني للقيام بها مع بيسان وتلخصت المهمة بأن ننتحل شخصية الخطيبين الذين سيتزوجان في بيتهما الجديد في تل أبيب، بعد عودتهما من بريطانيا، وتم ترتيب كل شيء للعملية: الأوراق الثبوتية والملكية والصور المطبقة في بريطانيا، وكل شيء محتمل السؤال عنه. وتدربنا لشهر كامل على العملية والأسئلة والإجابات، وزُيِّفَت الأوراق في المنظمة على صورتنا ونجحنا في مطابقتها بشكل كبير، مما ساعدنا في الدخول للقطار المحمل بالأسلحة والعتاد الحربي، وبسبب إجادتنا للغة العبرية لم يشك أحد بنا، رغم دقات قلبنا التي كانت تسع المدى وتخفق بسرعة، وهكذا صعدنا للقطار وحصلنا على غرفة مستقلة، وبدأنا بإعداد القنابل وتجميع أدواتها، وتجهيز الموقت لينفجر في اللحظة المناسبة، وإنهاء الأمر بسرعة كبيرة، كنا كنجمتين في قبة السماء ازدادتا إشراقة وبريقًا، وكانت عيوننا معلقة بعيون بعضنا، وكأننا نتغازل ونتبادل الحب، الذي يجمعنا بنظراتنا البريئة، ولا نحتاج للكلام لنبرهن هذا الحب، ها قد حانت اللحظة المناسبة ووصل القطار لتل أبيب لكن قبل وصوله حانت لحظة الوداع، بل على الأغلب لحظة لقاء لروحينا بالسماء، كانت يدها زادي ومرادي، بقيت ممسكًا بها كأن أحد ما سيأخذها مني، ضغطت على يدها بقوة حتى إنني

ظننت إني أضم روحًا جديدة لروحي؛ لأعيش عمرًا أطول من أي إنسان على هذه الأرض، لم أكن خائفًا من الموت ولا هي؛ لأن موتنا تضحية وهدية لفلسطين وأطفالها، كانت السعادة تفتح أبوابها لنا، ترسلنا لأماكن أبعد من الخيال، جاء دوري لكبس الزر الذي سيلقن المحتلين دروسًا لا ينسوها، وما إن ضغطت على الزر حتى تمسكت بي بيسان واحتويتها بكلي، وهمست بروحي بأن هذه التضحية هي المهر الذي انتظرته منذ زمن، وها قد تحققت أمنيتها؛ ونامت على صدري بلسم لجرحي وعطرًا لجسدي الدمي، وانطلقنا عبر زرقة السماء وصفائها، ونحن نرى منظرًا لشهيدين بين ذلك الحطام في الانفجار الكبير، الذي دمر القطار كله؛ وأحدث انفجارات في المعسكر العسكري؛ فكانت خسارة كبيرة لا تعوض أبدًا.

انتهت مهمتنا بنجاح وضحينا لأجل الحرية والكرامة، فمتى سيستيقظ العرب من نومهم العميق، أما آن للعرب أن يستفيقوا من غفوتهم وسكرتهم لملذات الحياة، أن يضعوا حدًا لخضوعهم واستسلامهم.. آن أن نعود لنصنع الحضارة، ونكون القدوة لحياة حقيقية شريفة.

فالطفل العربي لن ينهزم، وسيأتي يوم تصنع الأجيال منارة؛ تشعل الثورة وتلهب الانتفاضة الكبرى ضد عدو فاسد استعلى بالأرض علواً لينهار لأسفل السافلين، انتفاضة لكل العرب ترفع عزتنا وتحرر العروبة من قيودها وتصنع مجدنا المحقق

تمت

obeikan.com

سرّي للغاية

سيد طه يوسف

obeikan.com

obeikan.com

(الفصل الأول)

مع لفحات سموم شمس ضحى أول يوم من شهر(أغسطس) خلع "جرجس" - خريج كلية الفنون الجميلة دور" مايو " المنصرم - قميصه فسالت حبات العرق مسرعةً من صدره صوب بنطاله؛ وهو ينهي بضع جداريات بكنيسة مجاورة لمسكنه بمدينة أسيوط، قبيل أذان العصر دخل المنزل، لاحظ نظرات قلق في عيني الست " أم جرجس " ووالده الأستاذ " شوقي " ما إن جلس حتى أحضرت الأم الطعام، والدموع تترقرق بعينيها، وبينما هم يشربون الشاي؛ أخرج الأب خطابًا واردًا من إدارة التجنيد والتعبئة يستعجل حضور" جرجس " للفرز؛ نظر " جرجس " في الخطاب ثم قال متحمسًا: إني انتظرك يا عزيزي منذ حين.

مع أذان العصر جلس " صبري " – ممسكًا بظرف أصفر كبير – في " كازينو" على شاطئ النيل ينتظر" هند " طالبة الفرقة الأولي بكلية التجارة، شرد ببصره حينا مع الأمواج، عاد من شروده، فتح الظرف، أخرج ما بداخله، راح يتمتم مسرعًا: شهادة مؤقتة لمن يهمه الأمر؛ جامعة القاهرة؛ كلية الآداب؛ تشهد الكلية بأن الطالب "صبري ...."؛

المولود بالحلمية؛ بتاريخ ....؛ قد حصل على درجة " الليسانس "؛ دور " مايو " عام ألف وتسعمائة وثلاثة وسبعين؛ بتقدير جيد جدا؛ قسم الفلسفة وعلم النفس. جلست " هند "، خطفت الشهادة من يده قائلة: " عقبالى يا رب "، أمسك بيديها، نظر في عينيها ثم قال: العاقبة بالحصول على الشهادة أم بالزواج، ابتسمت بخجل ثم قالت: ما هي مشروعاتك المستقبلية أيها الفيلسوف، قال: أولا: أحتاج إلى شهر نقاهة من ضغط المذاكرة والامتحانات، ثانيا: تخطي عتبة الجيش، ثالثا: الوظيفة، رابعا: الزواج، قبيل أذان المغرب وبينما يلج العمارة التي يقطنها، سلمه شيخ الحارة خطاب التجنيد.

مع أذان المغرب انتهى الشيخ " طاهر " – إمام المسجد وشيخ الطريقة النقشبندية وعين أعيان إحدى قرى مركز الحسينية بالشرقية – من تغسيل وتكفين أحد المعمرين؛ بسبب مرض حانوتي القرية. مع أذان العشاء كان " أمين " - الابن البِكر للشيخ " طاهر " والحاصل منذ أيام على " ليسانس " الآداب قسم الاجتماع - يطوف بـ " مولد الشيخ المدبولي " بالقرية المجاورة؛ يبحث عن مكان بندقية الرش؛ التي بحكم

دراسته لعلم الاجتماع و" الفلكلور" تولع بها لدرجة الإدمان، وبفضلها تمكن من الرماية لدرجة الإتقان. انتصف الليل و "همام " يهرول على ترع ومصارف أحد نجوع مدينة " فرشوط " يسقي فدان القصب تارة، وتارة يطارد الذئاب بشراك وبندقيته الخرطوش. مع انبلاج الصبح عاد " أمين " من المولد – الذي انفض منذ سويعات – إلى الدار؛ فغرق في نوم عميق أيقظته أمه قبيل الغروب قائلة: اليوم الاثنين؛ ميعاد درس وحضرة منتصف الأسبوع، نهض من نومه، اغتسل و صلى الظهر والعصر، ثم همّ ليلحق بصلاة المغرب جماعة في المسجد - الملاصق للدار- فرغت الصلاة تجمع مريدو الشيخ في خلوته؛ أضيئت القناديل ثم بدأ الدرس، استهل الشيخ الحديث بقول الحق تعالى: (إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي استكبرت أم كنت من العالين)، (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا)، ثم استرسل قائلا: إن جسدا خُلق بيد الله ونُفخت فيه من روحه وفُضل على الملائكة لواجبٌ تكريمه حيا؛ وتكريمه ميتٌ أوجب...

أنتهى الدرس مع تكبيرات أذان العشاء، الذي ما إن فرغت صلاته حتى بدأت الحضرة، التي انتهت بعد بضع ساعات، قبيل منتصف الليل انطلق سيل من الصراخ أزَّ أسماع القرية؛ هرول الشيخ مع ابنه صوب مصدره، توقفت أرجلهم عند دار شيخ البلد، الذي يعاني من السل منذ حين، بدأت مراسم الغسل فشمَّر" أمين " مع أبيه؛ الذي راح بكل رفق ولين وشفقة ورقة يمرر الماء على الجثة في جوٍّ من الوقار والهيبة، يحلقان في غرفة الغسل، بينما البكاء العويل خارجها يتصارعان، ما أن فرغ الغسل حتى ذرَّ الشيخ الحنوط على الكفن، مع اعتلاء شمس الضحى الجدران، استيقظ " أمين "، جلس يتناول إفطاره، وما أن فرغ منه حتى جلس بجواره أبوه، مسح على ظهره قائلا: أنا لم أجلس معك منذ أن أنهيت الامتحانات ساعة كاملة، فهل كل زملائك في الدراسة مثلك مغرمون بالموالد و" الفلكلور"؟، ضحك قائلا: هم كذلك يا أبي؛ لكنهم لا يعشقون الرماية و"النشان" مثلي، أقبلت الأم وأخوه الصغير، جلس الجميع يتسامرون، وبينما الضحكات تتعالى طُرق الباب بعنف، جرى الصغير صوب الباب، عاد يمسك خطابًا أعطاه لأبيه قائلا: أعطاني إياه شيخ الخفر، فتح الشيخ الخطاب، نظر فيه ثم في وجه " أمين "؛ ابتسم ابتسامة مبشرة قائلا: استعد للتجنيد يا

بطل؛ يبدو أنك ستستبدل بندقية المولد ببندقية آلية، ضربت الأم على صدرها ثم جهشت بالبكاء، هدّأ الشيخ من روعها تم احتضنها قائلا: مقدر ومكتوب يا أم " أمين ".

انتصف " أغسطس " فحزم " همام " أمتعته وكل رجال النجع من وراءه صوب محطة القطار، اعتلت "أمنة " - ابنه خاله - سطح الدار وراحت مع دموعها تودعه، توجه إلى منطقة التجنيد، التي استمع فيها إلى سلاحه، ثم رُحِّل منها صوب أقرب مركز تدريب رئيسي لقوات الصاعقة، بدأ يتعلم أساسيات ضرب النار التي علمه أبوه بعضا منها لمطاردة الذئاب. ذاع صيت " أمين " في ميدان الرماية لعشقه القديم مع بنادق الرش؛ لدرجة أنه في ذات يوم - بعد انتهاء فاعليات أحد تدريبات الرماية - تراهن مع أحد صف ضباط مركز التدريب على الرماية صوب " سيجارة " موضوعة على بعد بضعة أمتار فأصابها " أمين " بكل دقة. تعلم "جرجس" كل شيء سريعًا لذكائه الحاد، لم يرهقه شيء سوى التدريبات البدنية الشاقة لنحافة جسمه ولرقته المفرطة. تعلم الجميع " تكتيكات " قتال العمليات الخاصة؛ وازداد حماسهم ازديادًا حينما كانوا يعلمون أن من يحاضرهم ويدربهم بعضُ قادةٍ، كانوا منذ حين في الأرض المغتصبة ينفذون عمليات خاصة

خلال حرب الاستنزاف، بانتصاف " سبتمبر" انقضت أيام التدريب المكثف، التي بدأت برهبة وتوتر وقلق، واستمرت بجهد وعرق وضحكات، وانتهت بذكريات - على الجدران وصفحات المفكرات - ودموع فراق، توجه الجميع إلى الجبهة حيث مسرح العمليات، لأول مرة يتجمع الأربعة في مكان واحد؛ بسرية يقودها النقيب " خالد " المعروف على مستوى الفرقة وكل كتائب الصاعقة بشراسته القتالية، وخبرته بكل تفاصيل "طبوغرافية " سيناء والملقب بـ " خالد " الضبع، يساعده الملازم " إبراهيم الدسوقي " في قيادة بضع فصائل السرية، اصطف المجندون الجدد ليلا - بأحد المخابئ - في انتظار قائد السرية، نظر في عيونهم طويلا، طاف حولهم ثم زأر قائلا: أنا " خالد الضبع " لقبت بهذا الاسم لأنني استمتع بصيد هؤلاء - وأشار بيده صوب الجبهة الشرقية للقنال - واستمتع أكثر بتقطيع جثثهم، بعد حين انصرف " الضبع " وبقي معهم الملازم " إبراهيم "، قائد فصيلتهم، التي سماها فصيلة " الثأر" قضى معهم وقتًا تشوبه الحميمية ودفء المشاعر ثم أمرهم بالانصراف، وبينما هم مدبرون قال مباغتا: أيها الوحوش، ألم تشتاقوا إلى المشي فوق حبات رمل سيناء؟ التفت الجميع صوبه مندهشين؛ قال: غدا مع آخر ضوء سوف تحتفلون شرق القنال

بالرقص على جثث الصهاينة، غمضت أجفانهم وسط خليط من مشاعر الفرحة والحماسة والقلق، وسماء القنال فوقهم تزخ بالطلقات والصواريخ والدانات. استيقظت فصيلة " الثأر" مبكرا، حضرت طابور السرية ثم تدريبات اللياقة ثم التف أفرادها حول الملازم " إبراهيم " يدرسون خطة العملية، مع حلول الظلام أمسك الجميع بالسناج المبلل لتمويه وجوههم؛ تسللوا مع قائدهم - "الدسوقي " - إلى سيناء، وعلى الرغم من خطورة العملية والموقف برمته، إلا أن جميع أفراد الفصيلة يكادون يطيرون فرحا، فجأة .وبينما الجميع ينفذون أدوارهم في الخطة بحذر وإتقان شديدين ـ ظهر أمامهم " الضبع " في المقدمة، بدأ الاشتباك بعدما قنص " أمين " - ببندقيته الكاتمة للصوت - جميع أفراد حراسة أبراج نقطة المراقبة الجوية بالنظر، حلق أفراد فصيلة " الثأر" كخفافيش الظلام بخفة ورشاقة ومهارة، وفي غضون أربعين دقيقة نُفذت العملية بنجاح وبدون خسائر، تجمع الأفراد في نقطة الالتقاء؛ بعد سويعة كانوا غرب القناة، قضى أفراد الفصيلة معظم الليل في الاحتفال بالطبل والرقص والضحكات، قبيل النوم سأل " أمين " الملازم " إبراهيم " قائلًا: لماذا ظهر معنا النقيب " خالد " فجأة أثناء التنفيذ؛ مع أننا أثناء التخطيط للعملية لم يكن له دور فيها؟

قال: هذه أمور قيادية لا تسأل عنها، نغض "أمين" برأسه ثم قال: بانتهاء الاشتباكات وقبيل مغادرة أرض العمليات لمحته يطعن جثث قتلى العدو بـ "سمكي" البندقية عدة طعنات بطريقة هستيرية، الملازم: النقيب " خالد " مشهور بحماسته القتالية، "أمين ": حماسة؟ عن أي حماسة تتحدث أيها الملازم؟ وما علاقة الحماسة بطعن الجثث!؟ إن ميدان الحرب ساحة نزال، يستخدم فيها المقاتل كل ما يمتلك من قوة ودهاء وخداع لقطع رأس العدو، وبمجرد خروج روحه من جسده ينتهي النزال فورا، الملازم: قواعد الحرب تختلف عن أية قواعد "أمين": هذه ليست قواعد حرب؛ هذه قواعد قيم وإنسانيات، الملازم: أنا مرهق وأريد النوم... نام أفراد الفصيلة وظل الملازم يفكر حينا في كلمات "أمين" وبينما هو كذلك انطلقت أمامه ألسنة أضغاث الأحلام والكوابيس واللاوعي تتحدث، بدأ "همام " الخترفة بلكنته الصعيدية وصوته الجهور قائلًا: انتبه يا "وهدان" الذئب من خلفك، اركض يا "وهدان" أين أنت يا "وهدان"؟ متى ستعود... وبينما "همام" كذلك راح "صبري" يهذي قائلًا: سأعود حتما يا أمي سأعود حتما يا "هند" وسأرتدي بدلة الفرح، وسأجلس في الكوشة وسأرقص ليلة فرحي حتى الصباح، في آخر المبيت بدأ صوت "جرجس" يعلو شيئا فشيئا قائلًا:

انتبهي للعصافير يا أمي؛ ضعِي لها الطعام والشراب؛ لا تدعيها تظمأ؛ سكت الجميع وفجأة هذى "أمين" قائلًا: انثروا الحنوط على الكفن، امسحوا الدماء من أرضية فصول المدرسة، ثم رتل بصوت عذب قائلا: (إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين...) استيقظ الجميع على صوت البروجي، حضروا طابور الصباح، ثم تدريبات اللياقة، قبيل الانصراف هنأ النقيب "خالد " جميع أفراد السرية بحلول شهر رمضان الكريم، بعد انتهاء تدريبات "التكتيكات" العسكرية؛ توجه الجنود إلى المطعم، قال "صبري" للملازم "إبراهيم" ممازحًا: ألسنا في حالة حرب؟ الملازم: نعم، قال: إذن يجوز إفطار رمضان، الملازم: أولا: جميع عملياتنا الخاصة تتم ليلا.

ثانيا: لم تندلع الحرب بعد؛ إذن لا يجوز الإفطار، ضحك الجميع ثم قال "جرجس" أظن أن ساعة الاندلاع قد اقتربت، الملازم: جدا جدا.

"همام ": اشتقنا إلى عمليات الظلام أيها الملازم، ترك الجميع الطعام والتفتوا صوب الملازم يستمعون رده؛ فقال: كونوا دوما على استعداد.

قبل الفجر ـ وبينما أفرد الفصيلة يجهزون السحور في المبيت ـ التفت الملازم صوب "همام" قائلًا: يبدو أن "وهدان" عزيز عليك جدا، دُهِشَ "همام" قائلًا: ومن أدراك بـ "وهدان"؟

ضحك قائلًا: السرية كلها عرفت الليلة الماضية بأمر "وهدان".

"همام": كيف؟

الملازم: الليلة الماضية كان هذا المبيت مسرحًا لعرض اللاشعور، فقد حضر "وهدان" والذئب والعصافير والفرح والكوشة وتلاوة القرآن....

شرد "همام" حينا ثم اغرورقت عيناه قائلًا: "وهدان" هذا خالي الأصغر، استشهد في حرب سبعة وستين، ولم نعثر له حتى الآن على جثة.

الملازم: وما علاقة و"هدان" بالذئاب؟؟

مسح "همام" دموعه، ثم قال مبتسمًا: هو الذي علمني اصطياد الذئاب.

"صبري" وهل تأكلون الذئاب في النجع يا "همام"؟

ضحك الجميع.

"همام": أكل الذئاب محرم...

الملازم: إذن لماذا تصطادونها؟

"همام ": الذئاب رمز للغدر والخسة، ونحن نقتل الغدر والخسة، هزَّ الملازم رأسه قائلا: فلسفة معقولة.

أدار الملازم بصره صوب "جرجس" قائلًا: كيف حال عصافيرك؟ ابتسم قائلًا: العصافير كائنات لا تعرف الأذى؛ ليت البشر يتعلمون منها شيئا.

التصق "صبري" بالملازم قائلًا: وماذا عن فضائحي؟

قال: ليست كثيرة؛ فقط رقص وطبل و"هند"... ضحك "صبري" قائلًا: علمتني دراسة الفلسفة وعلم النفس شيئًا مهمًا؛ وهو أنك لا تظهر خلاف ما تبطن؛ أي لا تنافق؛ خاصةً في مشاعرك وأحاسيسك، لذلك أعبر عما بداخلي - ثم هتف قائلا - وأعترف أمامكم أنني أكره الصهاينة، "همام " ولماذا تكرههم؟

قال: لأنهم مغتصبون.

نظر "أمين" صوب الملازم قائلًا: وماذا عني أنا؟؟

الملازم: أنت قلت أشياء غريبة؛ بدأت بالكفن والحنوط، مرورا بمسح الدماء من أرضية الفصل، ثم خُتمت بآيات من القرآن عن تكريم الإنسان....

"أمين": علمني أبي أن من بداخل الكفن له قدسيته، مهما كانت عقيدته أو جنسيته أو فكرته؛ أما عن المدرسة، فأنا أسكن بقرية مجاورة لقرية بحر البقر، وبيدي هاتين لملمت أشلاء التلاميذ المتطايرة في الفصول بعد القصف، ولملمت أوراق الكراسات وأغلفة الكتب، ما رأيته في المدرسة جعل البغض بداخلي كالمارد كل يوم يكبر؛ أيها الملازم لو أن هناك مقياسًا للبغض لدخلت موسوعة "جينيس" للأرقام القياسية في بغض الصهاينة، أما عن قدسية الإنسان فسأقول لك رأي أبي – الشيخ " طاهر" - في هذا الأمر: " إن جسدا خُلق بيد الله ونُفخت فيه من روحه وفُضل على الملائكة لواجبٌ تكريمه حيا، وتكريمه ميتًا أوجب".

انقضى أول نهار من رمضان سريعا، تناول الجنود إفطارهم، جاءت الأوامر من قائد السرية، تنفذ بدءًا من الغد، بعمل مسابقة كرة قدم

خماسية بين فصائل السرية، اندهش الجنود من الأوامر التي نفذوها على مضض، في ذات يوم وبينما الجنود يتسامرون في مبيتهم دخل عليهم "خالد الضبع " هب الجميع وقوفًا؛ أعطوه التحية؛ أومأ لهم بالجلوس؛ توسط المبيت قائلًا: هل من مشكلات؛ نغض الجنود برؤوسهم؛ هل من أسئلة؟

نظرت العيون بعضها بعضًا؛ فجأة هب "صبري" واقفا فقال: أنا لا أجيد لعب كرة القدم؟ لماذا لا توجد مسابقة شد الحبل، ضحك الجنود وابتسم "الضبع" قائلًا: كل ما أستطيع أن أقوله لك أن ساعة الحسم اقتربت؛ وقف " أمين " فسأل القائد قائلًا: عندي بضعة أسئلة تؤرقني.

" الضبع": تفضل واسأل " أمين ": أثناء عملية تدمير موقع العدو للمراقبة الجوية بالنظر، لمحتك تطعن جثة أحد الصهاينة بضع طعنات، فلماذا؟ تغير وجه "الضبع " وهتف قائلًا: وهل لك في الجثة قرابة؟

" أمين ": الفكرة؛ قاطعه الضبع قائلا: لا فكرة ولا ذكره، استمع إلى جيدا ولا تقاطعني؛ الصهاينة الذين تأخذك الشفقة بجثثهم حينما كنت أسيرا لديهم في حرب سبعة وستين، حرقوا زملائي أمامي أحياءً.

"أمين": هم مجرمو حرب، لا تقابل الإساءة بالإساءة.

"الضبع": ماذا تقول أيها الجندي؟!!

نظر إلى الجنود قائلًا: ما هذا المنطق الغريب؟

"أمين" هل تسمح لي بسؤال سيدي: تنهد "الضبع " قائلا: تفضل.

" أمين ": لماذا لم تُحرق مع زملائك؟

سكت الضبع فقال " أمين " سأجيب عنك يا سيدي: لأنهم ليسوا سواء.

نظر " الضبع " في عيني " أمين " ثم غادر، وبينما هو مدبر قال

" أمين ": لماذا لقّبوك بالضبع سيدي، توقف النقيب، نظر حينا إلى الأرض ثم انصرف شاردًا يفكر في الأسئلة.

(الفصل الثاني)

بعد بضعة أيام، وفي منتصف الأسبوع الثاني من رمضان؛ وبالتحديد يوم السبت الموافق السادس من أكتوبر عام ألف وتسعمائة وثلاثة وسبعين، استيقظت فصيلة " الثأر" على تحركات غريبة، ورفع لحالة الاستعداد للدرجة القصوى، مع دقات الساعة الثانية ظهرًا بدأ الزلزال وانفجر البركان، أشعلت الطائرات السماء نارًا، ومادت الأرض تحت أقدام الأسود، وفي غضون بضع ساعات كان قرابة ثمانين ألف جندي يستنشقون عبير رمال سيناء، ومع آخر ضوء من هذا اليوم كان "همام" في أحد خنادق المقدمة، يأخذ العزاء من زملائه في خاله" وهدان"، أقبل الظلام فتحولت سيناء إلى بقاع قائلة، تزغرد فيها الطلقات وتدوي الدانات وتبرق الصواريخ، أخرجت النفوس في الميدان كبت وغِلّ النكسة والهزيمة، وبدأ فرسان كل سلاح يصولون ويجولون، وما أن استفاق الصهاينة من هول المفاجأة؛ حتى كانت القوات توغلت في سيناء عشرات الكيلومترات، على طول خط المواجهة ، بدأ أبطال فصيلة "الثأر" بتنفيذ عملياتهم الخاصة وراء خطوط العدوان، فبعد منتصف إحدى الليالي تمت عملية الإنزال من طائرة عمودية، وكان الهدف هو تدمير موقع بطاريات صواريخ، بعد

ساعتين من الاشتباك انتهت العملية بتدمير الموقع وإصابة "صبري" إصابة مباشرة في صدره؛ أدت إلى استشهاده، وظل كل من" أمين" و"جرجس" و"همام" والملازم يتبادلون حمل جثة "صبري" على اكتافهم، في طريق عودتهم صوب نقطة الالتقاء، وبينما هم يركضون سقط عليهم وابل من دانات المدفعية أصابت "جرجس" إصابة مباشرة؛ فتناثرت أشلاؤه، تأخروا عن الوصول إلى نقطة الالتقاء بسبب القصف؛ فغادرت المروحية دونهم، خلع " أمين" سترة "الأفرول"، وملم فيها أشلاء" جرجس" ظلوا يبحثون عن أرض رملية لدفن الجثتين، وبعد حين وجدوا كتيبة دفاع جوي للعدو دمرتها الطائرات المصرية بالكامل، تجولوا فيها يبحثون عن أفضل مكان للدفن، وبينما هم كذلك لمحوا في طريقهم جثة جندي صهيوني متناثرة الأشلاء، على بعد بضعة أمتار منها وبالقرب من فسيلة نخل، حفروا قبرًا، وضعوا فيه الجثتين، قبيل الدفن قال "أمين" انتظراني لحظة، "همام" إلى أين أنت ذاهب؟

قال: سأحضر أشلاء الجندي الصهيوني.

"همام ": تُحضرها إلى أين؟

قال: هنا لأدفنها.

"همام": لكنه عدو. قال: كان عدوًا؛ الآن هو إنسان؛ ولن أتركه لجوارح الليل تنهش لحمه، نظر الملازم إلى "همام" قائلا: دعه يفعل ما يشاء.

قال "أمين" لـ "همام": أعطني سترة " الأفرول ". جرى "أمين" وراح يلملم الأشلاء ثم وضعها بجوار الجثتين، ثم أهال عليهن التراب، مع أول ضوء كانت طلائع قوات المشاة المصرية تقتحم الكتيبة المدمرة. استمرت رحى الحرب دائرة لأيام؛ سطَّر فيها الأبطال بدمائهم وأرواحهم تاريخًا من العزة والكرامة، في الثاني والعشرين من أكتوبر أصدر مجلس الأمن قراره رقم ثلاثمائة وثمانية وثلاثين بوقف إطلاق النار، وتنفيذ القرار رقم أربعمائة اثنين وأربعين، لسنة سبعة وستين بجميع أجزائه، هرولت الشهور وفي نهايات سنة ألف وتسعمائة وخمسة وسبعين تم تسريح "همام" و "أمين" من الخدمة، عاد الاثنان إلى الديار يسبقهم الفخر والشموخ. بعد بضعة سنين أقامت قيادة قوات الصاعقة

- في ذكرى انتصارات أكتوبر- حفلًا لتكريم أبطالها إبّان فترة الحرب، حضر "أمين" و"همام" في مقدمة الصفوف، التقت الأحضان واجتُرت

الذكريات وسالت الدموع، بنهاية الاحتفال اصطحب النقيب" ابراهيم الدسوقي " " أمين " في سيارته العسكرية وسار به - عبر الجزء المحرر من سيناء - إلى أن وصلا إلى بوابة مكتوب على لافتة تعلوها " الفرقة السابعة عمليات خاصة"، وقفا تحت نخلة مثمرة بجوارها نصب تذكاري على هيئة تابوت، قذف النقيب حجرًا صوب إحدى سبط النخلة، تساقطت بضع تمرات، أعطى أمين تمرتين ثم قال: هل تتذكر هذه النخلة، طاف "أمين" ببصره في المكان ثم شرد بذهنه قائلا: كأنني هنا بالأمس، وكأن لحم الأشلاء يهتز بين يدي، احتضنه "الدسوقي" ثم قال: أنظر إلى هذا النُصب التذكاري، دقق أمين النظر ثم تمتم قارئا: (إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي استكبرت أم كنت من العالين). أزفّت الأيام وبينما "أمين" جالس مع أطفاله يشاهد "التلفاز" رأى الرئيس يوقع اتفاق السلام في منتجع "كامب ديفيد" ومن وراءه العقيد "الضبع"؛ يصافح أعضاء الوفد الصهيوني بحرارة.

تمت

إغتراب

الأمير فتحي عزام

obeikan.com

obeikan.com

في تمام الساعة الثامنة، من مساء يوم الجمعة، بقطاع غزة المحاصر من قبل الكيان الصهيوني، جلس أبو مازن وبجواره صغيريه، يشاهدان نشرة الأخبار على قناة الكيان الصهيوني، يحاولان اكتشاف ماذا يخبئ لهم العدو غدًا.

فأبو مازن رجل تخطي الأربعين من العمر، ويتحدث كثيرًا من اللغات يطالع الأخبار، يستكشف العالم الخارجي له؛ كي يعلم موضعه منه، بل موضع دولته غير المعترف بها، بين أجناس البشر.

أخبار كثيرة تدل على حال الشعب الفلسطيني، الذي اندثر تحت خطابات الزعماء.

لكن الخبر الذي جعل الوالد يبكي بحرقة؛ بل أنه انتفض وبكت كل خلايا جسده (مقتل إرهابي عند أحد المعابر بين غزة والقدس علي يد الجنود الإسرائيليين)

ـ المدعو أحمد سالم ــ تم قتله اليوم عند معبر حاجز حوارة، وعند تفتشيه؛ وُجِدَ حول جسده حزامًا ناسفًا، كان ينوي تفجير نفسه عند الحاجز، وقتل الجنود الإسرائيليين الباسلون التي تحمي عرين دولتنا المجيدة، دولة اليهود إسرائيل.

نظر الوالد إلى صغيريه، وأشار بإصبعه إلى صورة أحمد المقتول، وبجواره الجنود يهللون لمقتله؛ ليخبر أولاده أنه هو أحمد الشاعر، الذي كنت أحادثه بالأمس، أنا من طلب منه أن يذهب إلى هناك، لقد قتلته..... قتلته.....

ثم استطرد وعلامات التعجب تحيط به قائلا: لكنه ليس إرهابيًا، من أين أتي بالحزام الناسف؟! هناك خطأ ما لا أفهمه... ماذا يحدث؟!!

ولجت زوجته السيدة أم مازن وهي تصيح:

ما بالك يا رجل ما كل هذا الضجيج؟

انظري إلى التلفاز أنه أحمد لقد قتلته..... قتلته...

هل حقًا تعرفه؟! هل تعرف من يفجرون ويقتلون ماذا يحدث؟ ألم تخبرني مرارًا أنك ضد عمليات القتل الفردي، ألم تحدثني عن فتاوي ابن عثيمين وغيرهم من أن هذا يضر ولا ينفع؟ وأن الجهاد فرض على كل الأمة الإسلامية جمعاء؟ ماذا بك تشارك معهم بالقتل الفردي الآن؟

أنا لم أشارك مع أحد أنا لا أفهم الأمر، ولا أعي ما يحدث، أحمد ليس إرهابيًا، بل أنه شاب شاعر أتوسم فيه الصلاح.

زوجتي العزيزة ادن مني اجلسي بجواري، فجوارحي ترتعش وجسدي ينتفض.

جلست الزوجة بجواره تحتضنه في جانبها الأيمن، وعلى الجانب الأيسر تحضن صغيرها.

لحظات وهدأت أنفاس الزوج، ثم بدأ يقص على زوجته الحقيقة التي يعرفها، ولا يعرفها أحد غيره.

أحمد سالم منذ نعومة أظفاره كان كثير الإمساك بالقلم، كانت لعبته المفضلة، بل كان صديقه الوحيد.

خربشات كثيرة داعب بها أوراقه، وحائط بيتهم، بل كان يحنو على جسده بتلك الخربشات.

بعد عدة أعوام ومع نضوج عقله تحولت تلك الخربشات إلى أحرف، وكلمات نظمت؛ لتكتب شعرًا ونثرًا.

عندما وصل إلى سن العاشرة خاف عليه والده السيد سالم من العدوان الصهيوني؛ حيث أن بلدته متاخمة لإحدى المستوطنات اليهودية؛ لذا تم ترحيل كلَّ مَنْ بالبلدة جبرًا أو قتلا.

لذا تم تهريبه مع جاره السيد ميخائيل، الذي فضل أن ينجو بحياته إلى دولة الأردن، عن طريق الأنفاق بين مصر وغزة ومنها إلى الأردن.

اعتني السيد ميخائيل بأحمد جيدًا؛ كان أحمد يعيش مع أسرة السيد ميخائيل داخل إحدى الأديرة بالأردن.

سبب أحمد كثيرًا من البلبلة داخل جدران الدير، خاصة في الحوارات الجانبية بين الرهبان.

فكيف لمسلم أن يترعرع بين أروقة الكنيسة؟ بعد عدة أعوام ماذا سيعتنق؟ بل لو علم المسلمون في الخارج أن بالدير مسلمًا ينمو بينهم بالتأكيد سيقال إنهم سيخرجونه من دينه؛ ليعتنق دين الكفر.....

السيد ميخائيل في موقف حرج!

اقترح السيد ميخائيل بتغيير اسمه من أحمد إلى عماد...

وتم إلحاقه بالمدرسة الخاصة بهم؛ علموه العلوم الدنيوية كالرسم الموسيقي والأدب والشعر، ابتعدوا عن كل ما يخص العلوم الدينية لا مسيحية ولا إسلامية.... عاش غريبًا بينهم....

عندما وصل إلى سن الثامنة عشر، أراد العودة إلى بيته؛ ليبحث عن عائلته، عن أرضه.

كان الشيء الوحيد الذي استمتع به وبغربته داخل جنبات الدير المتسع، حكايات السيد ميخائيل عن فلسطين والقدس، عن والد أحمد السيد سالم، عن جهاده، عن الدفاع عن أرضه وعرضه، عن بطولاته.

كل تلك الحكايات كانت كفيلة بأن يعود أحمد مرةً أخري إلى أرضه وسمائه، إلى التراب الذي سيحيي ويدفن فيه.

obeikan.com

عاد من جديد إلى غزة، إلى القطاع، إلى ما تبقي من دولة فلسطين، لكنه لم يجد بلدته؛ تحولت إلى مستوطنة يهودية بعيدة كل البعد من أن تصل أقدامه إليها.....

انخرط في خربشته من جديد؛ كلماته تحولت لشعر.... لقصص.... لخواطر.

كانت مخرجه لما يجول من أفكار تتصارع داخل عقله..

في إحدى المرات خانته أقلامه، كتب أبياتًا من الشعر، كان يُعبُر بها عن علاقة الحاكم بالمحكوم؛ عبر عن أول جلسة بين الحاكم والمحكوم؛ بين الله والشيطان؛ أظهر بعض التعاطف مع الشيطان، اعتقد أن الشيطان ظُلم، ولم يكن له حيلة في قبول الأمر، لم يدرك أن الغرور والتكبر علي الله وآياته كفر وإلحاد.

نشر العمل على صفحته بموقع التواصل الاجتماعي الفيس بوك، فله آلاف المتابعين من جميع الدول العربية؛ لما له من كلمات تمس القلب تارةً تعطف عليه، وتارةً أخرى ترميه بسهام تجرح ولا تقتل.

وكالعادة مع أولي لحظات إشراقة كلماته على صفحته؛ وجد سيل من الإشعارات تبعث البهجة في قلبه كل مرة.

لكن هذه المرة جاءته رسائل كثيرة.

امسك الهاتف يتفقدها، تفقد الرسائل رسالة تلو الأخرى.

استوقفته ثلاث رسائل، جعلت عقله ينشط، بل حولته لشخصٍ آخر....

الرسالة الأولي كان محتواها:

صديقي أحمد أهلا بك في عالمنا اللامنتمى، لقد قرأنا ما كتبت، لقد زاد انبهاري بك وبعقلك وفكرك، وجدت تعاطفك مع الشيطان؛ فنعم القول والفكر منك، فلقد ظُلم ولايزال يُظلم، أريدك أن تنضم إلينا، إلى عالمنا؛ لتكون فردًا بل ملكًا في عالمنا الشيطاني.

obeikan.com

الرسالة الثانية:

ماذا تقول، وماذا تعتقد، إنك لفاجر، فاسق، زنديق، كافر بالله وبشريعته؛ فلتعلم أنك في أسفل الجحيم في الآخرة وروحك ستزهقها أيدينا بإذن الله.

الرسالة الثالثة:

صديقي العزيز، لقد قرأت ما كتبت، ودائما أطالع ما تكتب؛ فأنا من أشد المعجبين بقلمك،

كلماتك خيالية فاقت الوصف؛ لكنها قد خانتك اليوم؛ فمفهوم ما كتبت أمر مخالف لما تعلمناه في ديننا، وقرأناه في قرآننا، إن كنت تعي ما تقول فهذا أمر مذموم، وإن كنت لا تعي فباب التوبة مفتوح للجميع، وأنا على يقين من أنك لا تقصد القول، أو تتعاطف مع من استوعد البشر بالضلال وتكبر علي الله وخلقه، أرجو منك أن تراجع القول مع من يفقه في دين الله، أعزك الله بالإسلام.

obeikan.com

أغلق أحمد هاتفه وابتعد عنه، وفي جانب الحجرة الصغيرة، جلس على مقعد طالما شهد على حالات انكساره، واضعًا رأسه بين ركبتيه مرتعدًا جسده خائفًا....

تحول إلى ملحدٍ وكافرٍ، بل هناك من يريد قتله.

حاول جاهدًا أن يستعيد قواه، وأن يستفيق؛ كي يعاود عقله التفكير؛ بعدما شلت أفكاره بسبب الخوف، حاول أن يعي مكنون إيمانه....

هل هو مؤمن مسلم؟ أم مسيحي؟ أم ملحد؟، أم ماذا بقلبه تجاه الله.؟

ماذا يوجد بقلبه تجاه الله، هو يعلم أن هناك إله ولابد من توحيده، لكنه لم يطالع أو يتعلم كيف يعبده، وكيف يصل إليه، وما هي الكلمات أو التصرفات والأفعال التي قد تبعده حقًا عنه، دون أن يشعر، بل أن يكون واثقًا أنه سائر باتجاه الله، لكنه قد يكون في اتجاه الشيطان،

لكن عقله مترفعًا عن التفكير؛ فسلب منه قوته وترك جسده ينهار....

في الصباح وقبل أن يغتسل؛ جلس أحمد أمام حاسوبه؛ يطالع المواقع الدينية بشغف كبير.

يحاول أن يعي كل ما كُتِبَ في الأديان السماوية، عن حديث الله مع الشيطان، وكيف تحدثت اليهودية والمسيحية والإسلام.

وجد في المسيحية آية تقول "وَأَنْتَ قُلْتَ فِي قَلْبِكَ: أَصْعَدُ إِلَى السَّمَاوَاتِ. أَرْفَعُ كُرْسِيِّي فَوْقَ كَوَاكِبِ اللهِ، وَأَجْلِسُ عَلَى جَبَلِ الاجْتِمَاعِ فِي أَقَاصِي الشَّمَالِ. أَصْعَدُ فَوْقَ مُرْتَفَعَاتِ السَّحَابِ. أَصِيرُ مِثْلَ الْعَلِيِّ" (سفر إشعياء 14: 13، 14) والعلي هو الله

وفي اليهودية وجد

في أحد نصوص الهاجاداة ـ وهي مجموعة شروح على هامش التلمود دونت في القرون الأولى للميلاد من أجل تقريب المعتقدات التلمودية إلى ذهن عامة الناس من خلال أسلوب القص المشبع بالميثولوجيا .

لدينا رواية مشابهة عن عصيان الملاك الرئيس المدعو ساتان للأمر الإلهي. فبعد أن خرج آدم إنسانًا تام التكوين من يد الخالق، أمر الرب كل الملائكة أن يسجدوا لآدم ففعلوا، وكان رئيسهم ميكائيل أول الساجدين؛ لكي يضرب للآخرين مثالًا في الطاعة والخضوع للأمر الإلهي. ولكن الملاك الرئيس ساتان الذي أضمر الغيرة والحسد لآدم، رفض السجود قائلًا للرب: لقد خلقتنا من ألقك وبهائك، فكيف تأمرنا أن ننطرح أمام من خلقته من تراب الأرض؟ فأجابه الرب: ومع ذلك فإن تراب الأرض هذا يفوقك حكمةً وفهمًا. وهنا تدخل ميكائيل وألح على ساتان قائلًا: إذا لم تبجل آدم وتخضع له عليك أن تتحمل عاقبة غضب الرب. فأجابه ساتان: إذا صب غضبه على سوف أرفع عرشي فوق النجوم وأغدو ندًا للعلي. فلما سمع الرب منه ذلك أمسك به ورماه خارج دائرة السماء، فهوى نحو الأرض. وتبعه حشد من الملائكة الذين شجعهم تمرده على إظهار ما كتموه في أنفسهم من حسدٍ لآدم ورفضٍ لسموه عليهم. ومن تلك اللحظة صارت عداوة بين الشيطان والإنسان.

وفي القرآن وجد في سورة الأعراف:

((وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ (11)

قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ (12) قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ (13) قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (14) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (15) قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (16)ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ(17) قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ (18) وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (19) فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (20) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (21) فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ۖ

وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ (22))

بعد مرور ساعاتٍ أوشك النهار أن يغادر، دون أن يغادر أحمد حاسوبه، بل دون أن يغتسل، الوقت يمر وكثير من المعلومات تتدفق داخل عقل أحمد، تتصارع فيما بينها لعله يعي حقيقة إيمانه، ومع اقتراب منتصف الليل بدأت ملامح الحقيقة تظهر أمام عينيه، أمسك هاتفه ودارت مناوشات كثيرة بينه وبين الرسائل المنهمرة عليه في الهاتف.

لكن المحادثات الثلاث صمدت أمام عقله.

فتح الرسالة الأولي؛ رسالة الترحيب به في قوم الإلحاد؛

بعث له رسالة قال فيها:

لا أعلم بماذا ابدأ حديثي معك، بالسلام أم بالترحيب أم بالزجر، حتى كلمة سيدي لن ينطقها لساني فلن يكون سيدي شيطان يخطو على الأرض.

قرأت كثيرًا عنك وعن معتقداتك من صفحتك، أو ما تعتقد في كتابات خُطت بحروفٍ شيطانية على الشبكة العنكبوتية، كثير من الجدل لا فائدة منه أسأل الله أن يهديك فلا مكان لكم عندي.

اسمي أحمد، ديني الإسلام، وأنتم غير مرحب بكم على صفحتي. سأحظرك فتح الرسالة الثانية من الشخص الذي يود قتله، بدأ بمراسلته بالسلام:

السلام عليكم سيدي..... جاءه الرد:

. لا سلام لك عندي..

. سيدي ماذا تقول اسمي أحمد وديني الإسلام....

. عن أي إسلام تتحدث، عن دين برئ منك وممن تعتقد.

. لا سيدي أنا مسلم من أب وأم مسلمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

. إن الله لبرئ منك أيها الكافر الفاسق الفاجر.

. أنا لست بكافر، أنا لست بكافر أرجوك أريد ان أفهم لماذا تقول هذا؟ إن لي توبة.

ـ لقد انتهي الحديث بيننا لعنك الله، استعد للموت على أيدينا في أي لحظة.

يبدو بأن محاولات أحمد لفهم الأمر من هذا الرجل قد باءت بالفشل.

لم يدم الوقت طويلًا علي أحمد، كي يستفيق ولا ينغمس في خوفه من تلك الكلمات، بل على الفور قام بفتح الرسالة الثالثة، وبدأ في محادثة الرجل ليخبره: سيدي لقد أنهك فكري وقواي؛ سيدي أريد منك أن نلتقي كي تخبرني الكثير، عن الإسلام أريد أن أتوب عن فعلتي أليس لي بتوبة.

انتظر أحمد كثيرًا ولم يصل إليه أي رد.

بعد مرور قرابة الساعتين عند حلول صلاة الفجر، رن هاتفه معلنًا وصول رسالة.

هنا نظر أبو مازن إلى زوجته وأطفاله، والدمع يسيل من عينيه؛ ليخبرهم بأنها كانت رسالته إلى أحمد. لقد كان هو أبو مازن صاحب الرسالة الثالثة...

انخلع قلب أحمد لصوت الرنة؛ على عجل فتح الرسالة وقرأ ما فيها.

ابني العزيز أحمد، كانت هذه بداية الرسالة.

سال الدمع من عينه، لما وجد فيها من كلمات تحتضن أنفاسه.

مسح الدمع من عينيه؛ كي لا يمنعه من رؤية باقي الرسالة وجاء فيها:

لقد قرأت رسالتك وشعرت أن قلبك بدأ يهتدي لكنني لست ذا علم حتى أجادلك في كل تلك الأمور.

رد عليه أحمد أنا لن أجادلك فأنا على يقين من أنك ستجعلني أتوب.

ابني العزيز، لكل مقام مقال، فأنا لست بعالم كي يؤخذ من فمي الفتوي، صحيح أنني أفقه الكثير وأتعلم، لكنني لست مؤهلا لذلك الأمر، ألم تسمع قول الصحابة الذي يقول: (أجرأكم على الفتوي أقربكم لدخول النار).

رد عليه أحمد برسالة:

لا لـم أسـمعه فأنـا تعلمـت في مكـان بعيـد كـل البعـد عـن الإسـلام وتعاليمه.

ولدي الحبيب أحمد مهما طال بنا العمر، فلن نتعلم كل شيء فالعلم بحر بلا شـطآن؛ لـذا أنصحك أن تـذهب إلى مفتي القدس في المسجد الأقصى، وتتعلم منه وتطالع الكتب التي في مكتبة الأقصى؛ لعلك تجد ضالتك وتكون كتاباتك في سبيل الله ورسوله.

رد عليه أحمد قائلا:

سيدي كم كنت أتمناك أبي؛ لقد لمست من كلماتك الطمأنينة؛ لذا سأخبرك كل شيء عني.

واصل أحمد إرسال الرسائل؛ كي يشرح لأبي مازن كلَّ شيءٍ عن حياته؛ لمس فيه الضعف والقوة، لمس فيه الإيمان بالرغم من جهله بالكثير عنه، وجد رجلًا صلبًا، لم يعطِ أحمد للوقت فرصة أن يخدعه؛ على الفور بدأ يستجمع قواه، بدأ يبحث كيف السبيل في أن يصل للقدس.

لم تمر ساعات كثيرة حتى جمع شتاته وعزم على الرحيل...

في صباح اليوم التالي حزم أمتعته، حقيبة صغيرة حملها على ظهره، حمل فيها آماله وطموحاته، بل حمل فيها توبته...

كثير من المعابر، كثير من إجراءات التفتيش، وربما لا يستطيع الوصول أو ربما يُعتقل.

لكن الإصرار في قلبه كان أكبر من أي صهيوني.

سار على قدمه أميالًا، شعر بأن جسده ذاد قوةً إلى قوته...

بدأ بإرسال رسائل وصور إلى السيد أبي مازن بكل تحركاته، بمشواره نحو الحقيقة....

أنا أحمد سالم، أحادثك في مشواري نحو القدس، أقترب من أول معبر؛ حيث تتواجد مجموعة من العربات المدرعة، بداخلها جنود الصهاينة، يقفون على بعد أمتارٍ من المعبر الأول، سأتقدم إليهم فكما تعلم أنني أعمل في الجانب الآخر، ومعي تصريح للمرور من هذا المعبر.

تقدم أحمد باتجاه الجنود قبل أن يصل إليهم، وعلى مسافة بضع أمتار استوقفوه، طلبوا منه من خلال مكبر الصوت أن يرفع يده فوق رأسه، وأن يُلقي حقيبته بعيدا عنه.

عندما همَّ برفع يده لأعلى إذ بطلقات تخترق جسده.

طلقات من خلفه وليست من أمامه؛ طلقات أصابته من جانب وطنه، ولم تصب أي عدو لوطنه.

ارتمي أحمد خائر الجسد على الأرض، ارتمي على الأرض التي دافع عنها أبواه، ارتمي غارقًا في دمائه، يروي بها تراب وطنه، متحسرًا على توبته، التي تمناها، لكنه لا يعلم ــ عن جهل ــ أن الله قد يكون قبل توبته، ارتمي وعيناه تطالع الملثم وهو يفر؛ ملثم بوشاح فلسطيني؛ يجري مهرولًا بعدما قتلته رصاصة الغدر في ظهره، استجمع ما تبقي له من قوة، ونظر على الجانب الآخر، نظر إلى جنود العدو، رآهم يختبئون مذعورين، والرصاص يتطاير منهم في الهواء، رآهم يندسون من جديد في ثكناتهم...!

مات وذاع صيته، لكن صيته اختلف فيه البشر؛ الصهاينة اعتبروه إرهابيًا، وتم الإعلان في دولتهم أن الجنود قتلوه.

وفي بلاده عُرف بأنه قُتِل على أيدي الجماعات المسلحة؛ نظرًا لألحاده، وأنه كان ذاهبًا إلى الصهاينة؛ كي يجد عندهم ملجأ من بني الإسلام.

لكن الله شاهدًا على ما كان في قلبه.

تمت

obeikan.com

الحمل الصغير

خلود طلعت

obeikan.com

obeikan.com

هكذا هو منذ أن كان صغيرًا، وهم يلقبونه بالحمل الصغير، في معشر الحمل كان هو الضئيل حجما.

حقا لا يعلم لماذا دائمًا وسط المجموعات ـ رغم براعته في أداء التعاويذ ـ يصفقون للأخرين ولا يعيرونه اهتمامًا؟!

هل فقط لأنه ضئيل الحجم؟ أم لأنه يتيم؟ لم يعرف يومًا والديه، فقد تربي في ملجأ المعشر. لكن كل شيء على وشك أن يتغير، لن يكون الحمل الصغير من اليوم هو سيصبح (جيد)!

في القاعة المستديرة الفسيحة، انحنى (جيد) أمام سادة المعشر!

عن يمينه كان هناك الملقب بملك السعير، الذي يمتلك قوه النار القرمزية، أما أمامه فكان الملقب بملك الجليد، ليس لأن له قوه الجليد أو ما شابه؛ فقط لأنه لا يوجد شيئًا علي وجه الأرض قادر على أن يثير دهشته، أما عن يساره فكان سيد الكمياء خيمائي المعشر الأول، انحنى أمامهم باحترام، ثم وقف بثبات أمامهم وعيناه تلمع بتحدٍ وقوة!

سأله الجبل الجليدي، بصوت يشبه الموتى قائلا "ما الذي أتي بك إلى هنا يا جيد؟!"

سأل ملك السعير بنبرة يشوبها بعض السخرية " تأتي لمجلس المعشر أيها الحمل الصغير، بالتأكيد لديك شيء مهم أليس كذلك؟ هلم وتحدث!"

قال جيد بثقة وثبات "أرغب بإذن سيادتكم في أن أخرج للبحث عن قلب الحمل الأول"

نظرة دهشة واستنكار رُسِمَت على وجوههم جميعًا، عدا الجبل الجليدي الذي قال بشكل قاطع وبرود مميت

"كلا"

جيد باستنكار "لماذا؟!"

أجابه ملك السعير قائلا باستنكار: "أيها الحمل الصغير، المئات من مشعوذين المعشر ذهبوا لكي يجدوا قلب الحمل الأول، لكن لم يعد أحد منهم، أخبرني كيف تنوى أنت أيها الحمل الصغير أن تجد قلب الحمل الأول؟!"

قال جيد بهدوء " إذًا ليس هناك مانع أن أذهب؟ في النهاية أنا لست ذا فائدة للمعشر، دعني أُجرب حظي يا سيدي، وأجد قلب الحمل الأول،

الذي سوف يهب معشرنا المجد والقوة المطلقة"

تحدث . أخيرًا . الخميائي قائلا "فلتذهب أيها الحمل الصغير".

قال الجبل الجليدي بهدوء وبرود "فلتذهب، لكن لتعلم إنك لن تحصل على أي مساعدة من المعشر".

ليردد ملك السعير مثلهم قائلًا وابتسامة خبيثة ترتسم على وجهه "اذهب أيها الحمل الصغير، وداعًا!".

تبسم جيد لنفسه نعم سيذهب، هو لم يحتج يومًا مساعدة هذا المعشر، منذ متي هو يعتمد عليهم؟ في أي يوم دعموه؟ في أي لحظة اهتموا به أو لرأيه!

قبل يومان:

في مكان مظلم تمامًا سمع صوتًا يناديه: " جيد! جيد! جيد! "

ما هذا هل يحلم، من أين يأتي هذا الصوت؟!

قال بصوت مرتفع "مَنْ هناك، مَنْ الذي ينادي اسمي؟"

أجابه الصوت بهدوءٍ يبعث الدفيء "اهدأ يا جيد، لا تخف فلتسمع جيدًا، فلتستمع مرة أخري إلى قصة استمعت إليها مئات المرات قبل ذلك".

"منذ مئات الأعوام هبط حمل جميل الشكل أبيض اللون إلى الارض،

حينها وجد مجموعة من البشر في حالة بائسة، رغم بؤس هؤلاء البشر إلا أنهم لم يؤذوا الحمل الأبيض، فقد كانت تلك أول مرة يرون بها حمل بهذا اللون! لذلك اهتموا به وقدسوه"

أكمل الصوت الهادئ "لأن هذا الحمل كان حمل سحري بقوة مختلفة! رأف بحال هؤلاء البشر، ووهبهم قوه السحر، وأقام بينهم وعلمهم كيفية استخدام معادن الأرض، وتحويلها للذهب ومعادن مختلفة فكان (الخميائيون)، كما وهب بعضهم قدرات خاصة، وهذه القوي يمتلكونها طوال العام لكن في شهر ما يفقدونها، فيما عرف بشهر الحمل".

"حتى جاء يوم ورحل هذا الحمل فجأة عنهم، تاركًا لهم بضع كلمات لم يفهموها حتى اليوم: (يومًا ما سوف أعود، ولكن كي أعود يجب أن تجدوا قلبي، وحينها سوف تمتلكون القوي المطلقة).
وهكذا رحل الحمل الأول، وتقديسًا له لقب أهل المعشر نفسهم بمعشر الحمل، وقد حان الوقت كي يعود الحمل الأول، وأنت مَنْ

ستجد القلب، وأنا سأخبرك بالمكان"

قال جيد بتوتر "من أنت إذن؟!"

لينشق الظلام المحيط، ويظهر حمل أبيض اللون، جميل الشكل قائلًا: "انا صاحب القلب"

خارج أرض المعشر بمئات الكيلومترات، سمع جيد صوت حفيف مخيف!

تمتم جيد بكلماتٍ غير مفهومة؛ لتضيء نيران ظهرت من الأرض حوله من العدم، همس قائلًا "يبدو أن دروس الشعوذة والفراغ أصبحت ذا أهمية الآن!"

نظر حوله فلم ير شيئًا سوى النيران التي تضئ له!

فجاءة! ظهر ضوء ضعيف من بعيد، سار جيد باتجاهه ببطيء ليتضح هذا الشيء تدريجيًا.

فقد كانت هناك شجرة وحيدة، هي مصدر هذا الضوء، فبرغم من وجودها في قلب الصحراء كانت مزهرةً، وكأنها في فصل الربيع! حولها الهواء كان مختلفًا كما لو أن محيطًا بها غلاف ما! أقترب جيد وجلس أمامها هامسًا بتعويذة، كان قد علمه إياها الحمل الأول في أحلامه؛

obeikan.com

حينها انشقت تلك الشجرة ليخرج منها قلب نابض؛ ارتجف جيد عند رؤيته؛ حينها سمع جيد الصوت يلتف حوله قائلًا "مد يدك وخذه يا جيد، هلم وعد إلى معشرك"

نظر جيد إلى القلب النابض، ثم تبسم فقد حان وقت استرداد كرامته! انتشرت الأخبار كالنار في الهشيم (جيد حصل على قلب الحمل الأول) أثناء سيره في أرض المعشر متجهًا إلى المجلس، كان الناس يتجمعون حوله، ويصطفون على الجانبين، يتهامسون بصوت خفيفٍ:
(جيد!) (بل الحمل الصغير جيد!) (كيف فعلها!)؛ ليتبسم جيد في زهوًا وفخر.

للمرة الثانية وقف أمام المجلس، وأخرج القلب ليقدمه لهم، قلب نابض حوله غلاف سحري!
وإن كانت الملامح قد تغيرت عن المرة الأولى، فالجميع يظهر دهشته واحترامه لجيد الآن، وقد كان جيد راضيًا تمامًا لنظراتهم.
وكأن ما رأوه ليس بكاف. فحول القلب ظهر ضوء كبير، ثم خفت

الضوء تدريجيًا ليظهر فجاءه حمل جميل أبيض اللون، حينها فقط وقف قادة المعشر؛ وانحنوا أمام الحمل الأول!

ضحك الحمل الأول ثم قال موجهًا حديثه لجيد:

"هل تعلم يا جيد في المكان الذي أتيت منه، كانوا يلقبونني بالحمل الصغير؛ لأنني ضئيل الحجم، كما أنهم كانوا يظنون طوال أعوام إنني أضعفهم نظرًا لأن والدي القائد توفي وأنا صغير، ومَنْ تولي بعده مكانه؛ أخفى حقيقة وجودي عن الجميع، تمامًا كما فعل المجلس معك، حتى لا تأتى وتطالب بمركز والدك! أليس كذلك يا ملك السعير؟"

لم يجب ملك السعير؛ بل سقط على الأرض فجاءة، وهو يتلوى من الألم ويحترق بناره القرمزية!

تنهد الحمل الأول ثم أكمل "منذ أعوام طويلة، كرهت نظره البؤس واليأس على وجه أجدادكم؛ لأني أعرف تمام طعم اليأس والبؤس، لهذا وهبتهم القوة لأعود اليوم وأجد أنكم أصبحتم ترسمون البؤس وإلياس على وجوه الآخرين"

أدار الحمل الأول ظهره إلى قادة المعشر تاركًا المجلس...

في الخارج كان كل من يراه ينحني أمامه لكن فجاءه يسقط على الأرض متألمًا.

لم يتحدث جيد، فقط سار إلى جوار الحمل حتى نهاية أرض المعشر؛ حينها نظر جيد إلى الحمل الأول قائلًا:

"ماذا حل بمن هم مثلك؟ من مضطهدوك؟

نظر إليه الحمل الأول قائلًا "تركتهم ولكن قبل أن أتركهم استخدمت تعويذة محرمة؛ لأنقل طاقتهم إلى فتحولوا إلى حملان، كحملان الأرض الضعيفة! أما أنا فتركت موطني سعيًا لموطن أخر أجد فيه راحتي، لكن الطاقة التي مصصتها كانت كبيرة؛ أرهقت جسدي؛ لهذا كان يجب أن أرتاح، وهكذا تركت التعليمات لقومك، لكن لم يجدني أحد؛ لأن الجميع كان يبحث عن القوة، لهذا لم يجدوا الشجرة المزهرة، على الرغم من أنها كانت أمام أعينهم ولم يجدوا قلبي! لا يستطيع أن يجد قلبي سوي قلب ملأه اليأس والحزن كقلبي، قلب لا يبحث عن مجد! ألا تريد أن تعلم ماذا حل بمعشرك؟"

نظر له جيد ثم هز رأسه بالإيجاب.

قال الحمل الأول "لقد تحولوا إلى حملان هم الآخرون، ولكن ليس الجميع، فقط من أساء استخدام قوته، هل تشعر بالحزن عليهم؟"

لمعت عينا جيد بحزن دفين، ثم هز رأسه بالإيجاب.

"فاقد الشيء لا يعطيه، حقا تلك المقولة غير صحيحة، فاقد الشيء يعلم طعم الفقد وشعور الفراغ؛ لهذا يهب بدون حساب وخاصة يهب ما فقده هو"

"ألا يمكنك إن تعف عنهم أيها الحمل الأول؟"

"لكل شيء ثمن، أنا لا أعاقبهم فقط من أجل إهانتهم لك، لكن يا جيد قائدهم السابق قُتِل وهم لم يحركوا ساكنًا، لقد سمحوا للأقوى أن يكون سيدهم، دون النظر لما هو عليه، الأمر أصبح كالغابة، لهذا لعنتهم إلى حملان؛ لكي يعرفوا شعور الضعف والخوف".

"ألم تكن أنت الآخر تعيش في الغابة؟" سأل جيد بتعجب

أطلق الحمل الأول ضحكة، ثم قال: "هل تظن أن الحمل هو شكلي؟"

"ألست حملًا؟"

"بلي أنا حمل، ولكن ليس مثل هذا الذي يوجد على الأرض، فإن موطني ليس الأرض بل جبال السماء الشرقية، فوق الرياح وتحت النجوم، هناك حيث السحر كالهواء حيث ترقص الجنيات! فأنا من أحفاد العنقاء وأمير الرعد".

"أين هذا؟" سأل جيد بفضول.

"ربما إذا تقابلنا مرة أخري سأريك موطني، لكن أظن إنه أصبح خرابًا بعدما لعنت قومي، أخبرني يا جيد"

"ماذا؟"

"ألا تظن إني شرير؛ لأني قد لعنت قومي؟"

"هل تصدقني إذا قلت لك لا؟"

"بلي سأصدقك، أظن إنك أنت الأخر لست جيدًا تمامًا"

"ومن هو الجيد تمام؟ الجميع لديه خير وشر بداخله، فقط أي الكفتين ستغلب، هذا ما يحدد من نكون"

أجابه جيد وابتسامة دافئة مرتسمة على وجهه.

نظر له الحمل الأول بامتنان قائلًا "هذه الإجابة التي بحثت عنها لزمن، فقط أردت أن استمع إليها"

نظر جيد إلى الحمل الأول وقال له:

"كثير ما نكون علي علم بالإجابة، ولكن لا نقتنع بها؛ فقط لأننا نريد أن نسمعها من شخص أخر يخبرنا بأن كل شيء على ما يرام، وأننا لم نخطئ" رفع جيد نظره عن الحمل الأول ثم قال وهو ناظر للسماء

"الحمل الأول مجرد لقب أطلقه عليك أجدادي أليس كذلك؟"

نظر له الحمل الأول قائلا "بلى!"

"إذن ما اسمك؟! ذاك الذي وهبك إياه والدك؟"

شعر جيد بأنه قد سبب في أَذِيّة للحمل الأول، بذكر اسم والده؛ فأسرع مفسرًا "أعنى أنهم كانوا يطلقون علىّ الحمل الصغير، وكنت أكره هذا، لذلك أسأل"

أصدر الحمل الأول صوتًا يشبه الضحكة ثم قال "أرين، هكذا لقبني أبي"

"أرين، يا له من اسم جميل"

"هل ستتذكره يا جيد؟! جميع من كان يعلم هذا الاسم؛ قد رحل إلى حيث لا رجعة، هلا ستتذكره!"

"لن أنساه ما حييت يا صديقي، سأبقى دومًا متذكرًا أرين صديقي القديم ومخلصي، لكن لما لا تأتى معي حيث العالم الواسع؟!"

تبسم الحمل الأول ثم قال:

"أشكرك يا جيد، ولكن لم يعد هذا العالم بتلك البساطة التي رأيته بها عندما أتيت لأول مرة، الآن اذهب يا جيد، العالم أمامك فلتكن ما تشاء أن تكون، لا يوجد من قد يوقفك بعد"

تبسم جيد ثم أدار ظهره وتمتم بكلمات غير مفهومة ليظهر أمامه

obeikan.com

حصانًا قوي البنيان ليمتطيه؛ مودعًا الحمل! وراحلًا عن أرض لم تهبه يومًا العدل!

راقب أرين جيدًا حتى أختفي في الآفق.

ليتحول الحمل فجاءة إلى فتاةٍ حسناء ضئيلة الحجم، برأسها قرنان صغيران باسمة الثغر.

"أذهب يا جيد فلتمح نظرة البؤس، فلتبسط القوة والجمال أيها الحمل الصغير، وليكن لقائي القادم بك هو الدائم"

تمت بحمد الله

ebeikan.com

سبعه راكب

محمد عبد الله فؤاد

obeikan.com

obeikan.com

كان أشرف يجلس بجوار مقعد السائق قائلًا لنفسه: لم يبق سوى الراكب السابع ليجلس بجواري، ويكون العدد قد اكتمل لننطلق، وتبدأ الرحلة إلى القاهرة. بالرغم من إنني سأفتقد إلى هدوء الصعيد في سوهاج، إلا أنه قد أوحشني صخب القاهرة. اقترب من نافذته رجل تفوح منه رائحة عطر نفاذ، يرتدى ثيابًا أنيقةً، يمسك في إحدى يديه محمولًا غالى الثمن، وفى اليد الأخرى علبة سجائر مستوردة من النوع الفاخر، أطل برأسه وسأل عن السائق الذي أتى من خلفه مهرولًا:

- اؤمر سيدي.

مشيا سويًا بضع خطوات، ثم عاد السائق موجهًا كلامه إلى ركاب سيارته:

- السيد يريد أن يتخذ المقعدين المجاورين لمقعدي، والأمر متروك لكم إن لم تكونوا متعجلين ننتظر، وإلا فليغادر أحدكم.

أثناء قوله العبارة الأخيرة، كان ينظر إلى أشرف، الذي شعر على الفور أنه المقصود بتلك العبارة، لكنه آثر أن يلزم الصمت، قائلًا لنفسه: ولم أترجل أنا؟ أنا قد أتيت قبله، ولم هذه الغطرسة؟ فليأت ويجلس بجواري، وإلا فليركب هو سيارة أخرى.

أتاه صوت أحد الركاب من خلفه: لولا أن معي زوجتي لترجلنا على

الفور، لابد للمرء منا أن يشعر بالأخرين.

قال راكب أخر تبدو عليه علامات التقدم في السن: إنني مريض ويجب أن ألحق بعيادة الطبيب وإلا ضاع الحجز، واضطررت للانتظار شهر أخر، فلقد حجزت بصعوبة بالغة، وبالواسطة عند هذا الطبيب، لم هذه العطلة يا ربى؟

كانت تصطك هذه الكلمات بأذن أشرف؛ فيرتجف لها قلبه. إنها مؤامرة أذن بين السائق والركاب وهذا المتغطرس، ولما تيقن أنه شخص غير مرغوب فيه؛ ترجل من السيارة، ولم ينبس ببنت شفة، واكتفى بأن يغلق باب السيارة في عنف دون أن يلتفت وراءه.

اقترب من سيارة أخرى يقف بجوارها عدة سائقين متسائلًا عمن عليه الدور، فأشاروا إليه بسيارة خالية من الركاب فتح الباب، وجلس بالمقعد المجاور للسائق، ينظر ويراقب السائرين في الموقف، يترقب وصول أحد الركاب، ورأي امرأتان تقتربان إحداهما في ريعان الشباب، والأخرى تشبهها في الملامح لكنها أكبر سنًا، فاستنتج إنها أمها، وأتى السائق يفتح لهما الباب، واجلسهما في أخر مقعد ذاك المقعد الذى لا يتسع سوى لشخصين، فركبت عبير وأمها وقال أشرف لنفسه: تبدو هذه الفتاة مليحة، ربما لو كنا في القطار لكان ثمة فرص مواتية

للتحدث إليها، لكنه ذاك الحظ العاثر، الذى يلاحقني دومًا في كل خطوة من حياتي، حتى العمل لا يختارون إلا سواي لمثل هذه السفريات؛ لإنجاز المهام الشاقة، ولولا رؤية فتيات القاهرة بملابسهن الضيقة، وتنانيرهن القصيرة لما هانت مشقة الرحلات.

ما أن تلاقت عينا عبير بعيني أشرف حتى أشاحت ببصرها نحو النافذة، قائلةً لنفسها: إن هذا الشاب يبدو صيدًا سهلًا، فملابسه ذات الألوان الغريبة، ونظراته المرتبكة تلك، أعرفها جيدًا إنه من أولئك القرويين، التي تبهرهم أضواء المدينة دومًا، ما إن يجدوا من يلاطفهم من الفتيات، حتى يسبغوا عليهم الهدايا والعزائم، لولا إني لا رغبة لي في أحد، أريد أن أنهي هذه الرحلة والعودة بسلامة، كما إنني عاهدت كريم أنى سأقطع علاقتي بكل الشباب سأكون له وحده، لكن أتراه يصدقني القول ويفي بوعده؟ أن يكون هو لي أيضًا، أم إنني مجرد فتاة عابرة في حياته، خاصة أنه ثرى، وفى ريعان شبابه، ولا ينقصه الوسامة الازمة لجذب فتيات غيرى أجمل منى، لنجرب طالما إنه يمدني بالمال اللازم فلم لا؟

كانت أمها تنظر إليها في اشفاق، وامتنان فهي من طلبت منها أن تصحبها في رحلتها الشاقة للذهاب إلى ذلك المحامي الكبير، نصحها

المقربون إنه هو من سيجلب لها حقها، وإنه مختص بذاك النوع من قضايا الميراث، فانصاعت أخيرًا لنصحهم وزاد من حماستها للسفر شوقها لزيارة الأولياء، كم أنت طيبة يا عبير وتستحقين أفضل مما أنت فيه، إنها تعلم بكل ما تفعله ابنتها دون أن تتطرق للتفاصيل بالطبع، لم تكن راضية كل الرضا، لكنها كانت توصيها دائما وتستحلفها برحمة أبيها أن تحتفظ بعذريتها وألا تفرط فيها مهما بلغ بها الحال، وأن تتوخى دومًا الحذر، أخرجت منديلها ومسحت دمعة خانتها، وقفزت من مقلتيها، وانهالت سرًا بالدعاء على أخيها الذى استولى على ميراثها بحجة إنه لا إرث للإناث، واحتياجها لمن يساوى ومن لا يساوى شيئا.

- هنا؟ أتى صوت عمر متسائلًا، فأجابه السائق: نعم

فركب هو وصديقه سمير في المقعد الذي يقع في المنتصف، خلف أشرف، وأمام عبير، وما أن استقرا حتى قال لعمر هامسًا - ابتسم يا صديقي نحن على أول عتبات الثراء. فأجابه عمر في ابتسامة ساخرة: من يسمعك الآن لن يصدق أن أمك وأمي قد باعتا حليهما، وأننا بصدد تقديمه على طبق من فضة، لذلك الخنزير الجالس هناك في القاهرة؛ ليقدم لنا تأشيرات السفر إلى دبى، ثم استند بظهره إلى مقعده، واجتر ذكرياته، لم يستقر في عمل لقد أوشك أن يلامس

الثلاثين ولا تبدو في الأفق أية سحب تحمل أية أمل في الزواج و تكوين أسرة، أو مسكن لائق، أو ما شابه كحال كثيرٍ من الشباب هذه الأيام، ولا عمل يمكنه الالتحاق به؛ لأن لا واسطة لديه، وقد ترك هو وسمير العمل بالغردقة بعد فترة قصيرة؛ لأن أموال السياحة حرام، وحيث العرى والخمور - حيث لم يستطع عقله أن يستوعب عندما ذهب إلى المسجد ليصلى أن يكون الأمام هو (البارمان) أي الساقي ـ وملعون حاملها، وساقيها، فأثر الرحيل، وصحبه سمير عن طيب خاطر، فهما صديقان منذ الصغر، بالرغم من أن سمير كان مسيحيًا، أفاق من شروده على يد سمير تربت على ساقه: أين وصلت؟ لابد أنك تحلم بالعمرة والحج، فإن السفر للسعودية من دبي أيسر من السفر من سوهاج لأسيوط، أجابه عمر: وأنت؟ ألن تأتى معي لن أتركك، رجلي على رجلك، وضحك الأثنان، عندما فتح عنتر الباب بجوار أشرف، كان يرتدى جلبابًا بلديًا يمتاز به أهل الصعيد، همَّ أشرف أن يترجل، ليدخل الرجل، ليجلس بجوار السائق، لكن الرجل، أشار بيده أن يفسح؛ ليجلس هو بجوار النافذة، لأنه ينوى أن يدخن، أوشك أشرف على الاعتراض، لكن نظرات عنتر وشاربه الضخم قد جعلا أشرف يبتلع اعتراضه، وأن يفسح لعنتر وقد امتلأ بالغيظ، وظل يلعن في سره حظه

العاثر الذي لا يبدو أنه يريد أن يتركه في حاله.

شرد عنتر ببصره، ووضع يده على جيبه يتحسس نقوده، وقال لنفسه: أول ما سأفعله عندما تطأ أقدامي القاهرة، الذهاب إلى بائع المجوهرات، واشترى خاتمًا لفريدة، زوجته الجديدة فهو لم يستطع شراء الخاتم من سوهاج، خشية أن يراه أحد، أو يخبر الصائغ أحدًا، ويصل الخبر إلى زوجته، فتجعل عيشته مرارًا، وتخبر أهلها وعشيرتها وتقوم القيامة، إن زوجته سعاد أم أولاده طيبة ومخلصة، لكن فتيات القاهرة لهن بريق أخر خاصة على الفراش، إن فريدة تلبى له احتياجات أخرى لا يجدها عند سعاد.

عندئذ فتح السائق الباب بجوار عمر وسمير قائلا: تفضلي، فأطلت هدى في ارتباك، وقد بدا وجهها ممتقعًا من الخجل متسائلةً في اضطراب: هنا؟ نعم هيا على بركة الله، تركها السائق في ترددها، وركب وأدار محركه، فركبت بدورها على استحياء، وضمت ساقيها لتحافظ على مسافة بينها، وبين سمير الذى كان يجلس إلى جوارها، ويبدو إنها لم تكتف بذلك، فوضعت حقيبة يدها بينها وبينه كفاصل يفصل بينهما، وأخرجت مسبحتها، وشرعت تحرك شفتيها تتمتم بدعاء السفر، فكل فعل تفعله له دعاء، دعاء السفر، دعاء الاستيقاظ من

النوم، دعاء تناول الطعام، حتى الاستذكار له دعاء، هكذا كان يوصيها أبوها، الذى لم يعق تدينه، تحفظه أن يترك ابنته لتلتحق بالجامعة في القاهرة، وأن تروح وتجئ بمفردها.

بالأمس رأت حلما غريبًا، إنها كانت ذاهبة مع أبيها للتسوق؛ أرادت شراء حذاء، فأعجبها واحدًا ذو لون أحمر، فأخبرها أبوها أن تستبدله بحذاء أخر، فأبت، وأصر أبوها، فبكت ثم امتثلت لأمر أبيها، ولما استيقظت قصت على أبيها تلك الرؤيا، فابتسم، وطمأنها، وقال لها: استبشري خيرًا بإذن الله، طالما ارتضيتِ بالمقسوم، واطعت أباك فأبشري.

- الفاتحة نصل بسلامة الله، قال السائق.

فشرع الركاب في قراءة الفاتحة، واختلس عمر النظر إلى سمير، فوجده يتمتم بكلمات، فابتسم، وأخرج أشرف قرطاسًا يحوي اللُّب، وشرع في القزقزة، فنظر إليه السائق نظرةً؛ فهمها أشرف، فأخرج قرطاسًا آخر فارغًا، وقال للسائق: لا تقلق هذا للقشر، لم يكن أشرف يتم عبارته حتى رأى السائق، وقد اتسعت حدقتاه، وظل يردد: لا إله الا الله، لا إله الا الله.

هكذا فعل كثير من الركاب الذين قد أجفلهم المنظر الآتي خارج

النوافذ، وكان أشدهم ذهولا أشرف، الذي الجمته الصدمة، فظل فاهه مفتوحًا، وعيناه ترقبان ذاك المشهد، فقد كان على جانب من الطريق، تلك السيارة التي ترجل منها أشرف، ليركب ذلك المتغطرس، وقد انقلبت على أعقابها، واحترقت، وفارق كل ركابها الحياة.

تمت

obeikan.com

إنتقام

آمنه العثمان

obeikan.com

obeikan.com

ما أجملكِ عندما تزرعين في قلبي الفرح والسعادة والبهجة.

ما أروعك أمي بلمستك الحانية على رأسي، وقُبَلكِ تنثرينها ياسمينًا على وجهي.

كنت أشبهك كأنني نسختك؛ فأنا شقية مثلكِ، عنيدة، شجاعة، أحب التحدي والمغامرة، كما أخبرني والدي عنكِ.

كنت تحلمين بيومٍ أرتدي فيه فستاني الأبيض وأجد شريك حياتي الذي يحبني كعشق والدي لكِ، وتتمنين أن أكمل دراستي بالحقوق لأكمل حلمك الذي لم يتحقق.

لم أنسَ تلك القُبلة الحانية على جبيني، ومسحة أناملك الرقيقة لشعري ذاك الصباح، وقولك لي: حبيبتي انتبهي لنفسك عين الله تحرسك وترعاك، قلبي معك يا نور عيوني.

هكذا في كل صباح تمنحني أمي دعاءً؛ ينير طريقي ويحميني من رفاق السوء..

كنا ثلاثة أخوة، أنا آية الصغرى المدللة في السنة الأولى حقوق، وأخي الكبير هيثم حاصل على بكالوريوس تجارة، يعمل بشركة والدي

بالاستيراد والتصدير، وأخي الأوسط حسام يكبرني بسنة في كلية الفنون، كان والدي تاجرًا ومعروفًا من قبل الكثيرين، وتملك عائلتنا سمعة بيضاء ناصعة.

في أحد الأيام ودعتني أمي بقبلة ودعاء، ورافقتني صديقتي سعاد للجامعة، تعرفت عليها منذ مدةٍ قصيرة، كنت أود المشي للجامعة والاستمتاع برؤية المارة واستنشاق عطر الياسمين الدمشقي ونحن نتحدث سويًا، إلا أنها كانت مختلفة ذاك اليوم؛ فاستوقفت سيارة أجرة كي لا تتأخر عن محاضرتها في قسم الترجمة، طاوعتها وجلسنا في المقعد الخلفي نتسامر.

فتحت عيناي

ذهني مشوش

أين أنا؟!

ما هذه الغرفة! كنت نائمة على سرير أجهله ماذا جرى؟ لا أذكر شيئًا، كيف وصلت إلى هنا؟

شيء أكثر غرابة أنا بلا ثياب، فقط غطاء شفاف يسترني، أنظر حولي بتوجس، بدأت نبضات قلبي تُسمع كل أوصالي أصابني الهلع، يا إلهي ما الذي حدث لي؟

حاولت أن أتذكر شيئًا؛ فكان ألم رأسي هو الجواب، حاولت النهوض لأجد الفاجعة.

أنا مقيدة اليدين والقدمين، يا إلهي ساعدني يا إلهي، أنت وليي ونصيري، لا تكلني لعدو يتجهمني استرني يا الله.

أمضيت الساعات في تلك الغرفة البائسة وحيدةً مقيدةً لا حول لي ولا قوة، تساءلت ماذا يريد مَنْ جلبني هنا، ربما يريدون فدية من أبي، أو لا لا إلا عذريتي، يا رب ساعدني.

نمت من فرط الأعياء والتفكير، وكأنني تناولت مخدرًا جعلني لا أقدر على الحركة، وعندما استيقظت مرة أخرى؛ كان شاب يجلس بقربي ينظر إلى يتلمس جسدي؛ ذعرت وصرخت بوجهه: ابتعد عني نذل حقير ماذا تريد مني؟

رد ببرود: أريدك يا جميلة آه كم أنتِ ساحرة الجمال، وناعمة البشرة وشفتاك كالتوت أشتهي تذوقه.

صرخت: أخرس. فلتخرس لا تكمل لست ممن تعتقد، لست عاهرةً أو ماجنةً، ابتعد عني لا تلمسني لماذا تفعل هذا بي، أليس لديك أخوات أو أم، ألست رجلًا؟

كان لا يسمعني قد انطفأ عقله لرؤية جسدي الغض، أصبح كالذئب المتوحش أمام فريسته.

ناجيت ربي: يا رب بحق محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ أحب الخلق إليك انجدني.

بدأت أدفع يديَّ بقوة لأفك وثاقي، وبكل ما أوتيت من قوة استطعت تحرير يدي اليمنى.

بات قريبًا لدرجة أن شفتيه لا مست شفتاي، وارتمى بصدره عليَّ، وهنا أتتني العزيمة بصفعه على وجهه، وكاد صوت الصفعة يصم أذني.

نهض، رمقني بنظرة غريبة، لم يكن غضبًا ولا توحشًا، مجرد سفر ببصره لعالم أخر.

عقد وثاقي ثم أدار لي ظهره وغادر، وأطبق الباب وراءه.

كم حمدت ربي أنه أبعد شر هذا الشيطان عني، كم فرحت لمعرفة أن الله لن يخذلني وسيجيب مناجاتي له.

بعد ساعات أطعمني بيده، وهو يتحاشى أن تتلاقى عيناه بعيني، رفع الغطاء وستر صدري وذراعي، كنت أريد الكلام، الصراخ، لكنه وضع أنامله على شفتي وقال: ولا كلمة رأسي تؤلمني فلتصمتي.

خرج وقد كانت أحشائي تتمزق، وتكاد أعصابي تحترق، وروحي تنفجر، لوهلة سمعت ضجة لمشاجرة بينه وبين أحد الأصوات النسائية الخافتة.

وما هي إلا دقائق حتى دخل الغرفة كالذئب المسعور، ووجهه مرعبًا كما الشيطان.

صرخت بوجهه ابتعد.. ابتعد.. لا تلمسني. كان كالبركان أحرق أوصالي، واستباح عذريتي، أدمى جسدي وامتص نفسي حتى كسر ضلوعي، تساوى وحيوانات الغاب، شعرت بوحش مفترس ينهشني ينفث روحه الشيطانية بجسدي، ما لذي فعلته يا ألهي لتعاقبني هكذا عقاب، ما

أجرمت يومًا ولا أخطأت بحق أحدهم، فلتلطف بي، فلتمتني إلهي أرجوك، دعني أموت لا أريد العيش مع وصمة عاري، ورؤية حزن أمي وعائلتي.

أشعر أن أمي قد غشي عليها، ووالدي وأخوتي يبحثون عني كل حارة ومشفى، وتلك نعم صديقتي سعاد نعم تذكرت كل شيء، هي من سلمتني لهذا الوحش كيف هانت عليها إنسانيتها وضميرها ورمتني بأحضان هذا الحيوان الأدمي!

بعد ما حصل لي بت كالصنم، مجرد جثة هامدة لا روح فيها، فقدت رغبتي وأحلامي، هجرت النظر لما حولي، أطبقت عيناي علني أفقد البصر فأنا لا أريد لهما أن تبصرا نور الحياة، وتلمحا البشر وأفعالهم الدنيئة، لقد اخترت صمتي فلا حروف لدي؛ لأدافع عن عذريتي وكرامتي بعد الآن.

أشرقت شمس يوم جديد؛ دخل الغرفة فك وثاقي ووضع ملابسي بجانبي، وقال بخسةٍ ارتديها بسرعة ستعودين لأهلك هيا قبل أن يستيقظ الناس ويروكِ.

لم أعِ جيدًا ما يقول، وددت قتله لكن كيف ليدي اللتان تعودتا على زراعة الورود وتشذيب الأرض، ورعاية الياسمين أن تُملأ بدماء قذرة نتنة.

وماذا سيغير قتله، هو بلا أخلاق وعديم الإنسانية، وأنا فقدت أغلى ما أملك، وقضى على كل أمنياتي بالحياة، وحده الله يعلم عبء ما أشعر، وحده ملجئي ومنفاي، ولا يرضى بظلمي وقهر عمري، وكما أنني أؤمن به سأصبر على ما سيكون من أهلي وعزوتي، فلينتقم منك الله يا أحقر من رأت عيناي.

أوصلني بسيارته لرأس حارتنا، وعند خروجي من السيارة قال لي: ألا تودين قتلي أو الانتقام، ما بالك أنت غريبة الأطوار!

وبنظرة حزينة ومقهورة قلت له: الله سينتقم لي منك فهو معيني الوحيد.

مضيت لبيتي

طرقت الباب، فتحت لي أمي، وبدت كأن سنة لم أراها، رميت نفسي لحضنها ورُحت باكية منهارة حتى فقدت وعيي.

عندما استيقظت رويت لأمي كل ما حصل معي، فصمتت واغرورقت عيناها بالدموع، وقالت: يا لله ما أصعب محنتك يا ابنتي، اللهم تلطف بنا وانصر عبدك وانتقم من الذي أذى ابنتي الرقيقة.

وهنا دخل والدي وأخوتي وسمعوها، وعلموا بانتهاك عذريتي؛ فهجم عليَّ أخي وأراد قتلي؛ لغيابي عن البيت والعار الذي ألحقته بهم.

شرع حازم بسكين ليخلص علي، ويجتث عاري.

ووقف حسام يشتاط غيظًا وحنقًا، ويبعد أمي من أمامه، وللحظة سقط والدي مغشيًا عليه من هول مصيري.

أجلسوه وأحضروا له دواء القلب، فهدأ قليلًا وتحسنت حاله، وقالت أمي لأخوتي إن ابنتي طاهرة عفيفة، وربيتها وأحسنت تنشئتها، أما ما حدث معها فهو إرادة الله وحده، ولا اعتراض على حكمه..

انتهى الموضوع عند كلمات أمي، ولم يعد أخوتي يكلمونني، ووالدي بات يتحاشى النظر إلي.

لكن لا يهم لم يعد يهمني، يا ليتهم قتلوني، وأراحوا قلبي من وجع ذكراي الأليمة، وإحساس القهر والظلم من البشر المتوحشة..

بعد أشهر من الصمت المرير ومحاولات أمي اليائسة؛ لأعود لدراستي وحياتي؛ تقدم عريس لخطبتي، قال لي والدي: أنه شخص صالح يرعى أمه المريضة، ويقوم على رعايتها ويعمل الآن في شركتي.

قلت: أرجوك أبي كيف أتزوج وأنا بلا عذرية، لا ترمِ بي لهلاكي، أمقت الرجال ومحال أن أتقبل وجود أحدهم في حياتي.

رد بعصبية: ستتزوجين رغمًا عنك، احمدي ربك أنه يريدك، وقرر الزواج منك، بعدما زعزعتي سمعتي بين الناس.

أجبته: حسنًا فلتقتلني لن أتزوج أبدا ما حييت.

ردت أمي: سيأتي اليوم وعائلته، وعليك الموافقة، هذا أفضل بنيتي، هذا المجتمع لا يرحم فلتصبري ولتحتسبي أمرك لله.

كما تريدون لن أراه، أنا موافقة لكن لن أراه.

رد أبي: حسنًا أمه مريضة وسيأتي مع عمه؛ وسنتفق على موعد العرس أخر الشهر.

اليوم عرسي المشهود؛ لبست الفستان الأبيض، وكان بنظري كثوب العزاء، وعائلتي تودعني وكأنني سأدفن اليوم وأخلصهم من إثمي.

فرح حازم ووالدي؛ وأسقطوا عنهم عار العائلة الكريمة، ولأول مرة بعد مشكلتي، قبل جبيني حازم وقال لي: أنا أسف لما جرى لكِ، وأعتذر منكِ من تصرفاتي صغيرتي.

استغربت حديثه ومشاركته زفتي لعريسي، وكأنه يحمل نفسه سبب ظلمي.

دخلت منزلي الجديد، وبقربي عريسي المدعي جهاد.

وفي ليلة حالكة الظلمة خانقة النسمات، جاثمة كالحجر على صدري، رأيته أنه هو، هو من أغتصب حيائي وبكارتي..

صرخت بوجهه: حقير تافه أما كفاك فعلتك المشينة..

ماذا تريد مني؟!! إياك أن تمسني لن أغفر لك أبدًا.

أمسكني وأنا ارتجف وتكاد انفاسي تنقطع، أهدئي، أهدئي لن أؤذيكِ لا تخافي مني.

بصعوبة بالغة أفلت جسدي من قبضته، وجلست بالأرض وحيدة شريدة، ضممت جسدي المرتجف بثوبي الأبيض وشعري الذي غطى وجهي بين ركبتي، جلس مقابلًا لي على الأرض وبدأ كلامه: أنا جد أسف لما فعلته، أعترف أني لا أفرق عن وحوش الغابة، ولا أمت للإنسانية بصلة، لقد أغرتني صديقتك بالمال، وقد كنت بحاجة له لعملية أمي.

كانت صديقتك سعاد مَنْ جلبكِ إلى، لأخطف منك عذريتك، ولأخلاقي الدنيئة وطمعي بالمال طاوعتها.

وبعد الذي جرى معنا كانت أخر كلماتك لي كالصاعقة، تدوّي بأوصالي وتعذب روحي، لقد هزتني كلماتك لدرجة أنك لم تفارقي يومًا مخيلتي، وكنتِ سبب هدايتي ومحاولتي لإصلاح ما أفسدته معك، والسبب الرئيسي أن والدتي ببري لها ودعائها لي بالهداية فهداني؛ لأنقي روحي وأتوب له توبة نصوحة.

أرجوكِ سامحيني، وإن لم تستطيعي سيكون هذا البيت لك، وأنا بمثابة شبيه زوج لك، ولك حرية التصرف بما تريدينه.

فجأة أحدهم يطرق بشدة على الباب، وإذا به أخي حازم يمسك بزوجي ويريد خنقه، ويصرخ حقير تافه سأقتلك، لم طاوعت تلك السافلة واغتصبت أختي؟!!

يزداد عجبي وحيرتي: أهو أنت سبب دماري؟!! أنت من انتقمت منه تلك المخادعة في شخصي.

هيا أترك زوجي هو على الأقل أشرف منك، عرف غلطته وحاول إصلاحها، أخرج لا أريد رؤيتك، خذ جبروتك وظلمك عني، ما عدت أستطيع النظر إليك.

دفعه زوجي نحو الباب، وهو ينظر بعينيه النازفة بدل الدمع دمًا، على ظلم بظلم أكبر وظالم لظالم يظنه أنه سيكون من الله أكبر.

تمت

obeikan.com

حالة وفاء

ملك محروس

obeikan.com

obeikan.com

خرجت وفاء من معركة قد انتهت للتو، قدمت فيها كل أسلحتها من نقاش وجدال ودموع، واستنفذت كل طاقتها، رافعة راية الهزيمة للمرة الثانية بعد المائة، كان هناك حوار دائر منذ قليل، حوار نابع من قلب مهمل مع قلب مغلف بالجمود، فشلت في تليين قلب زوجها الغائب عنها، وفى إرشاد عقله للطريق نحوها، لعله ينشغل بها وتبقى محور اهتمامه، ولو لبعض الوقت، حاولت دائما تقوية رباط الود بينهما لاستمرار حياة زوجية مستقرة لا غبار عليها ولا شائبة، كان دائمًا يقابلها برده المعتاد "أنا لم أقصر في شيء وأعمل ليل نهار من أجلكم، وهذا واجبى نحوكم وأقوم به على أكمل وجه" أرادت دومًا أن تنتشله من برجه العاجي الذى لا يبرحه أبدًا، ومن اختلائه الدائم مع سجائره التي يعشقها بشراهة، بحدٍ جعل زوجته تغار منها!! وتحدث نفسها دائما "كيف يعشق تلك اللعينة ويرافقها يومه كاملا ويتركني، أه لو أعطاني جزءًا من هذا الاهتمام" أرهقت في إفهامه بأنها تريد لها شريكًا لآلامها وأفراحها، شريكًا يشاركها الرأي والمشورة، يستكملان معًا الطريق نحو حياة مجهدة متعبة لا يقوى فيها أحد على السير بمفرده، لكنه ورث مبادئه وقناعاته من مجتمع عقيم الفكر، يرى أن الزوج للعمل ولتوفير المال، ونسى ذلك الجزء الأهم، نسى أن زوجته تحتاج

إلى إنسان وليس ماكينة صرف نقود، نسى إن هناك روحًا تحتاج إليه تحيا به ومعه.

أحيانا تشك في حبه لها، وأحيانا تقنع نفسها بأنها مخطئة، وإنه يحبها بالتأكيد وتبقى متأرجحة على حبل من تمنٍ، يقويه الأمل ويضعفه الأنين، فقد تزوجته منذ سنوات. سنوات كفيلة بأن تجعل كل منهما أمام الأخر كمرآة، يرى فيها نفسه، وكصفحات كتاب مفتوحة تُقرأ سطورها بوضوح، ولكن ما زادتهم السنين إلا بعدًا وجفاءً.

ولإن كل شخص يحمل بعض من سمات اسمه، كانت وفاء كما يقولون اسم على ما يسمى، فهي حقا كانت تُكن لزوجها كل الوفاء، برغم إهماله لها إلا إنها مازالت تحمل بداخلها نورًا يشعرها ببعض الأمل بأنه سوف يتغير.

فهو "كاسر" اسمًا وصفةً، يكسر كل عصاة مساعدة تمتد له من زوجته؛ لترشده نحوها وآمالها نحو تغييره.

لكن وبرغم كل ما سبق إلا إن للقدر لعبة أخرى، جاءت لتنهى وتضع حدًا ونقطة فاصلة في حياة كل منهما وتقلب الحياة رأسًا على عقب، جعلت المسار يسير نحو اتجاه آخر مغاير تمامًا لما كان يسير عليه.

كان كاسر في عزلته المعتادة يستمتع بوحدته المحببة وبسجائره المقربة، ممسكًا بجهازه المحمول، منشغلًا تمامًا بحياته الافتراضية عليه "السوشيال ميديا "سمع أصوات بكاءٍ ونحيبٍ اتخذت طريقها نحو أذنيه، تجاهلها كعادته ولكن ازداد الصوت علوًا مما جعله ينتفض؛ ليرى من أين ذلك الصوت الذي يخنق عليه عزلته!

ذهب خارجًا ليرى زوجته جالسة على أريكة غرفة المعيشة، يمتلئ وجهها بالدموع

. ماذا بكِ؟ لم تبكين هكذا؟

. نظرت إليه بعين تملأها دموع وحسرة وألم.. سكتت لبرهة فكرت ماذا تقول له، ولماذا تقول؟ وما فائدة القول. تحدث نفسها ماذا سيفعل إذا علم بالأمر، هل سيتغير في شيء.. لا جديد.. قد يزداد الامر سوءًا.. فكرت أن تخبئ عليه ولكن اضطرت أن تخبره أمام كم الإصرار الذي رأته منه لمعرفة الأمر، ردت متلعثمة حاولت إخفاء شيء ما، هو لم

يصبر عليه وردد سؤاله ماذا بكِ؟ فقالت. سأموت

ـ ضحك ببلاهة قائلا.. أتمازحينني؟! قولي ما الامر وإلا تركتك وحدك تعانين؟ ها أنا اهتم الآن وأنتِ لا تقدرين ذلك. أخبريني الحقيقة.

. كيف امزح وأنا أبكي هكذا، هل هذا وقت للمزاح ألا تراني أتألم وجعًا ومرارةً. ما أخبرتك به حقيقة.. أنا سأموت.

. تسمر مكانه حاول أن يستوعب الجملة قائلًا كيف ذلك؟

ـ حينما ذهبت أنت إلى طبيبك، وطلب منك أن تقوم بعمل بعض التحاليل والاشعة، فكرت أنا أيضًا أن أذهب إلى طبيبتي؛ لأني كنت أعاني مثلك، وأشكو مما تشكو منه من الألم والسعال، طلبت أن أقوم ببعض التحاليل والأشعة في اليوم التالي، الذي ذهبت فيه إلى المعمل.. وبعدها بثلاثة أيامٍ ذهبت لاستلم النتيجة لي ولك، قال لي طبيب المعمل إن نتائجك سليمة لا شيء بها، أما نتائجي فلابد وأن تعرض على الطبيبة، وعرضت النتائج كافةً على طبيبتي؛ فأخبرتني بالخبر المشؤوم (استكملت كلامها بخنقة كادت تخنق حلقها ومرار تجرعته) أني مصابة بمرض مميت وأيام عمري معدودة.

. كان الخبر كالصاعقة التي دبت في قلب كاسر أيقظته من غفلته، وكنار أذابت جليد مشاعره، وكمطرقة كسرت غلاف قلبه الحديدي، غير مصدقٍ لما يسمع هل هو حقًا الآن يجلس بجوار زوجته، وتخبره بانها ستموت؟! أم إنه ما زال في عزلته هائم في خيالاته؟!هل يحلم أم إنها الحقيقة؟! تسللت بعض دموع جاءت تحاول أن تجد سبيلًا لها نحو عينيه، دموع تحجرت وتجمدت منذ زمن طويل. قد جاء الوقت لتعلن الظهور.

. لم تصدق وفاء تلك الدموع، كذبت عينيها، فلابد وأن الدموع في عيني أنا جعلتني أرى كل شيء يبكي، وكأن المياه تخرج من كل شيء حولي، حتى من عين زوجي (محدثة نفسها).

ـ لا لا أنا لا أصدق هل ستتركينني؟! كيف؟ أنا لا أقدر... لا أستطيع... كيف أكمل حياتي دونك. أنا حتى لا أستطيع تخيلها هكذا لا لا.. سأكون معك في كل خطوات العلاج، لن أتركك سأعالجك لو تطلب الأمر السفر للخارج. ستكونين بخير صدقيني ستكونين بخير.

- وفاء: هل ما أسمعه حقيقي.. هل أنت أنت؟!

ـ نعم حقيقي وأرجوك لا تستسلمي.. على الأقل اتركي لي فرصةً أعوضك، وأقدم لكي اعتذار عن كل ما سبق.. كل شيء سيكون بخير،

وستسير الأمور على ما يرام.

هل يحتاج الإنسان دائمًا إلى قوة خارجية للتغيير، أم إن التغيير ينبع من الداخل؟! هل الإنسان لا يُقدر الأشياء الثمينة حوله إلا وقت فقدانها؟! كيف يجاور الإنسان الورود ولا يشم رائحتها النفاذة العطرة؟! وكيف يذوب السكر في فمه ولا يشعر بحلاوته؟! كانت تلك التساؤلات تدور في ذهن وفاء في الفترة الأخيرة، وخاصةً بعد تغير زوجها التام نحوها، فقد أغدق عليها بحنانه واهتمامه وسؤاله الدائم عنها، فضلاً عن مكوثه معها كل الوقت، يطعمها الطعام يسقيها المياه، طلب منها كثيرًا أن تصفح عنه وتسامحه، حاول إرضائها بالهدايا الكثيرة، والتنزه في الأماكن المحببة إلى قلبها، وهي ما زالت تتساءل. كيف لان قلبه؟ هل نجح مرضها في تغييره.. هل انتصر خبر وفاتها في حدوث شيء طالما تمنته وسعت إليه؟!

حرص دائمًا أن يسألها على التزامها بأخذ الدواء، وحرصت هي يوميًا أن تسقيه عصير البرتقال حتى يظل يتذكرها به بعد وفاتها، كما قالت له.

ولأن عمر الأشياء الجميلة قصيرة كالمعتاد، جاء اليوم الموعود الذي أنهي كل ذلك بسرعة، كتلك السرعة التي بدأت بها، والذي وضع كلمة

النهاية لقصة زوجين عاشا بداية الأمر مبتعدين ثم قربهما المرض، جاء الموت ليتخذ دوره في حياتهما، وقد كان يومًا لا شمس فيه ولا نهار، سحب تراكمت منذ فترة، انتظرت لتشارك في ذلك اليوم وتواسى المجروحين، بقطرات دموعها المتساقطة فوق رؤوس المغادرين والمودعين على حد سواء.

في ذلك الركن البعيد من الشارع المجاور لبيت وفاء أقيم العزاء، تجمع الأهل والأقارب والجيران؛ ليشاركوا الاحزان، وفى المدخل لافتة مكتوب عليها " لقد توفى إلى رحمة الله تعالى " كاسر عبد المقصود" نسألكم الرحمة للفقيد.

وعلى الجانب الأخر تجلس وفاء في عزاء السيدات تستقبل التعازي، شاردة الذهن هائمة بعيدًا سارحة في خيالها تبكي تارة، وتنهمر منها دموع كافية لتوزيعها على كل الحاضرين وتسكت تارة تستكمل شرودها. جاءتها طبيبتها تعزيها قائلة (كيف أخفيتي عنه الحقيقة بتلك البراعة؟!)

. ردت وفاء. نعم ولكن كان للقدر كلمته.

ـ قالت الطبيبة: هوني على نفسك، قد بذلتي معه كل الجهد ولم تقصري معه. وبرغم أنه عولج الآن، فالموت له كلمته العليا.

وما لبث أن انتهى العزاء، وانصرف الحاضرون، ذهبت إلى حجرتها وحدها. أغلقت بابها بإحكام تاركةً محاولات أهلها لمشاركتهم لها الأحزان، طلبت الانفراد وها هي الآن وحدها، فتحت درجًا من أدراج خزانتها الخاصة، كانت قد أخفت فيه شيئًا منذ فترة، أوراق قد بدلتها، احتفظت بسرٍ لا أحد يعلمه سواها هي وطبيبتها وكوب من عصير البرتقال.

تمت

obeikan.com

الساقطة

نهى مجدي

obeikan.com

obeikan.com

كالعادة جلس وحيدة، تأمل قسماتي في المرآة، وأُحَدِث نفسي وكأنني شخصٌ آخر غريبٌ عنى، لا يشعر بمعاناتي ولا يُمَزِقُه ألمي، شخصٌ يصفعني كي استيقظ من غفوة إحباطي وسقطات يأسى، وألا أسترسل في مخيلتي الخصبة، التي تتحول إلى أسوأ كوابيسي في نهاية المطاف، نظرت لنفسي تلك المرة وكأنني أراني للوهلة الأولى، وأتحدث لانعكاسي الذي اختلفت ملامحه كليةً منذ آخر مرة، وقفت أمامها متفحصة هيئتي، لقد زحف المشيبُ لرأسي، وتهدلت ثنايا جلدي وضَعُفَ جسدي، وما زلت أتمزق في صمت، حدثت نفسي وكأنني انفصلت عنها بنفس يائسة وقلب يحتضر: " ما ذلك الصخب العابث الذي تحدثه دقات قلبك؟ ألا تتذكرين أنك صرتي أمًا منذ ما يقرب من تسعة أعوام، ومن قبلها أصبحت زوجة منذ أكثر من عشرة أعوام، فلم ذلك الضجيج إذًن؟ ولم تبحثين عما فقدتيه منذ زمن بعيد، وتعلمين جيدًا أنه لن يتجدد مرة أخرى؟! منذ متى وجدتي من يشعر بألمك سوى نفسك، ومنذ متى توقفت عن البكاء ليلًا وعن أن تبللي وسادتك بدموع عينيك المنهمرة كالمطر، منذ متى لمسكِ أحد بحنان أو اهتم لمعاناتك، وأثر الاستماع إليك، تعلمين جيدًا أنه لن يشعر بقلبك سوى نبضات عروقك، التي تزداد دائما لتخبرك أن تهدئي قليلًا؛ حتى لا تقعى صريعة

نوبة قلبية تُسكته للأبد، كم مرة تمنيت حدوث ذلك، كم مرة دعوتي أن يتوقف قلبك؛ ليموت عقلك ولا يفكر في شيء مما يحدث حوله، هل تتذكرين يوم وقفتي على سور شُرفتك؛ وفردتي ذراعيك للهواء؛ لتشعري بلحظات من الحرية، حتى وإن كلفك ذلك السقوط أرضاً تمنيت فقط لو يمنحوك دقائق من السلام النفسي، تمنيت لو احتضنوك وتحملوا أعباءك ولو لليلة واحدة؛ لتشعري بأنكِ ما زلت تستطيعين المتابعة، أتذكرين يوم تيقنت أنه لن يفتقدك أحد، إذا وجدوا البديل لتلبية احتياجاتهم، وقتها صدمتي لأول مرة حتى أعتدتي ذلك، في بداية الأمر يؤلمنا الحدث حتى نعتاد؛ فنفقد الشعور به وبأنفسنا، وأنت أصبحت ذلك الكيان المُحنط، الذى نزعوا منه قلبه وعقله وأحشاءه، وأبدلوها بزهور تبعث روائح جميلة، يستمتع بها الأخرون ولا يشعرون بأن العفن يأكلها منذ زمن بعيد " لا أعلم متى ستتوقف تلك الأفكار عن احتلال عقلي؛ أشعر أنى يومًا سأجن، ذهبت لزوجي الذى طال زواجي به، وبرغم ذلك مازلنا نستشعر غربتنا كلما جلسنا معًا، لا نجد ما نقوله حتى في أكثر أوقاتنا حميمية؛ يغيب الكلام ويحل بدلًا منه فعلًا روتينيًا، يثبت به كلانا للآخر أنه مازال بيننا حياة، وفى داخل كل منا تدور سيناريوهات مختلفة، وينفصل كلانا عن

الواقع، حتى نتم ما بدأناه، وبرغم ندرة حدوثه إلا إنني لا افتقده أبدًا، ولا أظن أن زوجي يفعله إلا حفاظًا لماء الوجه، وثبات لوتيرة تواجده، فهو يعلم جيدًا أنه في غياب دائم عنا، حتى وإن كان حاضرًا معنا فذلك جسديًا فقط، وعقله تدور فيه آلاف القضايا المهمة، التي تحتاج لثغرات محامٍ كفء مثله، لا أعلم لماذا تلك المرة أردت التحدث معه، وكأنني أخيرًا سأُخرج ما في جعبتي بعد صمت سنوات... قل لي يا عزيزي، لماذا تخون المرأة زوجها؟ - لأنها ساقطة قالها دون أن يطرف له جفن وكأنها إجابة بديهية لا تحتاج لتفكير مسبق - هكذا ببساطة، وهل وُلِدَت ساقطة؟

- نعم وكيف عرفت؟

- ماذا بكِ يا سارة، لماذا تلقين تلك الأسئلة اليوم؟ كالعادة لم أستطع التفوه بما في قلبي ولا أعلم هل هو خوف شديد منه أم أنني فقدت كل بصيص ضوء يجعلني اعتقد أنه سيتغير - لأشيء، إنه فقط التأثر، لقد شاهدت اليوم حلقة تلفزيونية تتحدث عن سيدة خانت زوجها مع صديقه المقرب، وعندما سألوها عن السبب قالت " كنت أبحث عن الحب" رفع رأسه عن قراءة سطور قضيته ونظر إلى بأعين يملأها

الضجر- وهل كل من تبحث عن الحب تخون زوجها بتلك السهولة، من الواضح إنها لم تحبه يوماً ولذلك كان الحب مبررًا لتستطيع أن تعطى فعلتها الشنيعة مسحة شرعية تستعطف بها الأخرون حاولت استدراجه للتحدث أكثر ربما يشعر برسالتي من بين سطور قضية تلك السيدة، التي لو عُرِضت عليه لكان اليوم يدافع عنها وهكذا كلٌ منا يدافع عما يناسبه فقط - لقد ظننت أنا الآخر مثلك في البداية، ولكنى صُدِمت عندما عرِفت أنها تزوجته عن حبٍ جم تركت بسببه عائلتها وتزوجته؛ وانجبت منه طفلين، ولكن بعد زواجهما انشغل هو عنها بمادية الحياة وانشغلت هي بالأطفال؛ حتى فقدا نقطه التقائهما فأصبح كلٌ منهما يهيم في عالمه الخاص، حتى حدثت الكارثة وعَرِفَ بخيانتها، نظر إلى بتهكم شديد وسخرية لاذعة تخرج من بين شفتيه - هل تظنين إن بدايات الحب ستستمر بتلك العفوية والانطلاقة لآخر العمر- وهل تظن أنت؟ أغلق أوراق قضيته دون أن يتركها من يده وتحدث كأنما يشرح ملابسات قضية هامة لإحدى طالباته - بالطبع لا، ففي البداية يقتحم عالمنا إحساس الحب العفوي، الذى تظنين أنك لأجله قد تصنعين المعجزات، ثم يأتي بعد ذلك الواقع العملي، الذى يلتهم كل من لا يستطيع مواكبته، فكيف سنستطيع مواكبة

الحياة إذا أصبحنا نهيم فقط بمشاعرنا المتأججة دون النظر لهيمنة المادة، وكيف سيستمر حبنا إذا لم نجد ما نطعم به صغارنا، و نلتمس به المأمن من زخم الحياة، ولكن المرأة تجد نفسها فقط المحقة، فهي المحرومة من تلك المشاعر وهي التي طغى على حياتها ذلك العناء الجاثم فوق صدرها المُسمى بالحياة العملية فيعلو تارة ويهبط أخرى وتجد نفسها في النهاية بين أحضان رجل استطاع أن يزيف لها الحقيقة؛ فسلمته نفسها وهي تردد في داخلها " إنني مظلومة "

ـ وهل تخون المرأة بتلك السهولة برغم أن المُثبت علميًا إن المرأة لا تخون لأجل الجسد، وليس هذا ما تبحث عنه وإن جل ما يأسرها هي تلك الكلمات التي يلقيها الحبيب على مسامعها، فتسر روحها وتشنف أذناها ويرتوى قلبها البور، فهل تَنُدر أيضا تلك الكلمات في صخب الحياة.

- لما أراك تتعاطفين معها، هل حقاً استطاعت أن توهمك كلمتها أنها مجني عليها وإن ما فعلته له مبرر قوى دفعها لذلك. عندما ارتفع صوته انكمشت على نفسي كالقطة، التي تسير في الظلام وتخشى المجهول، كالعادة ينتهي نقاشنا عندما يريد هو ذلك، وأجدني في النهاية

أوافق على آرائه واستكمل نقاشي داخليًا، حتى أشعر بالظفر، حتى وإن كان نجاحًا كاذبًا فما أكثر احتياجنا لنجاح زائف وسط سقطات الحياة.

- عندك حق يا عزيزي فهي الآثمة حقًا.

انزويت في أحد الأركان قليلة الإضاءة، دون أن أصدر أي صوت يجعله يترك أوراقه مرة أخرى ويستكمل توبيخي، وأنا أشاهده يعود لعمله، وهو يمسح على شاربه ويستشعر عبقريته القذة، التي ألجمتني وجعلتني لا أستطيع مجاراته في الحديث، ولا يعلم أني في داخلي استكمل حديثي معه بمليء فمي وعلو صوتي.

- ولِمَ لا؟ لماذا أُجَن عندما أتعاطف مع امرأة تركت زوجها، الذى لا يشبعها حبًا ويتمعن في إهمالها، وتجاهل أنوثتها وانجرفت لآخر ألقى على مسامعها ما أرادات تذوق حلاوة وقعه عليها، كأرض بور وجدت الماء أمامها يشبع عطشها ويجعلها تزدهر، ولكن تلك المياه محرمة عليها، ويجب عليها أن ترتضي عطشها ولا تئن، ولكنى أكون من العقلاء عندما أبرر نفس الفعل للرجل، فهو من له الحق في الزواج بأخرى إذا قصرت معه زوجته، وحتى إذا لم تقصر فله الحرية الكاملة وفى يده

مقاليد الأمور، يتزوج وقتما يشاء ويخون عندما يريد، ويجب علينا أن نعتبرها مجرد نزوة، وألا نعلق له المشانق، وبالطبع يعود سبب ذلك الفعل على كاهل الزوجة المهملة المقصرة، برغم كل تلك السنين التي قضيتها كامرأة متزوجه؛ فلا زلت لا أفهم ذلك الكيان الذى على حق دومًا، وكل ما يفعله يندرج تحت بند "حقوقه"، لم تكن " سارة " الوحيدة الذي يدور داخلها صراع صامت، فهناك من يوهم الآخرين أنه يعمل، ولكنه في الحقيقة يبدى انشغالًا زائفًا يفر من خلاله من صدام المواجهة، ودون أن ينظر إليها، حدثها في قراره نفسه بشيء من الصدق الذي يغلفه دائما الكِبر ورفض الاعتراف بالحقيقة.

- أنا لا أبرر ذلك الفعل الشنيع للرجل أو المرأة، فالزواج هو الرباط المقدس الذي لا يدنسه شيء، ومهما تصدعنا وتمزقنا ففي النهاية لا يُرقع خيباتنا سوانا، وأعلم جيدًا يا سارة أنك تغلفين كلماتك بحكايات الآخرين، ولكنى في النهاية بشر قد أخطئ وأصيب، وقد أكون مقصرًا كثيرًا، وتتحمليني أكثر لكنى لن أتحمل فقدانك يومًا"

. نظرت إليه سارة وكأنها سمعت كلماته لنفسه؛ وسألته بصوت خرج قويًا على غير العادة: هل تبرر للرجل زواجه بأخرى؟

رفع "آدم" عينه عن وريقاته وأجاب بثبات: نعم فهذا حقه.

- ولِمَ لا تملك المرأة ذلك الحق؟

- هل تنتقضين الشريعة؟

- لا، لكنى أتساءل وهذا أبسط حقوقي.

- لأن المرأة خُلِقَت لتكون لرجل واحد فقط، خُلِقَت لتكون زوجة وأم تحتوي صغارها وتنشئهم على الأخلاق والقيم.

- إذن خُلِقَت لتخدم حقوق الجميع وليس لها حق.

- لم أقل هذا، فلها حقها في أن يكفلها زوجها، ويؤمن لها المسكن والملبس والطعام والأمان والنقود وغيرها من الحقوق.

- وماذا عن الحب، أليس من حقها؟

- بالطبع من حقها أن يحبها زوجها ويحسن إليها.

- وإذا لم يفعل؟

- لها الحق في طلب الطلاق إذن.

obeikan.com

- ولِمَ يحق للرجل أن يتزوج بأخرى في وجود زوجته الأولى أما المرأة فلا؟

- أتعتقدين أن الرجل يستطيع أن يحيا، ويتعايش مع زوجته وآخر؟!!

- ولماذا تُجبَر المرأة أن تتعايش في وجود أخرى تقاسمها زوجها؛ فتمتلك نصف قلبه، ونصف عقله ونصف حبه، إذا لم يكن الحب كاملًا، وليس هذا فحسب فهي أيضا قد تجد أخريات يتقاسمن معها هذا الزوج، ومن واجبها أن ترضخ وليس لها حق الاعتراض.

- لا، لها الحق أن ترفض تلك الحياة.

- وماذا بعد؟

- ماذا تقصدين؟

- ماذا بعد أن تُبدى المرأة انزعاجها من ذلك الوضع الآثم، هل سيتراجع؟

- لا، لكنه سيطلقها.

- وهل ترى ذلك عادلًا، يحق للزوج أن يأسر زوجته متى شاء ويطلق سراحها عندما تروق له الفكرة، ويتزوج بأخري بل بأخريات، وليس لها حق الاعتراض، وعندما تعترض ستكون أول المقذوفات خارج الدائرة، وعلى الجانب الأخر ليس لها الحق في أي شيء، فحتى عندما تسأم الحياة لابد أن تخرج منها بإرادته هو، وعندما تضج وتبحث عن الحب في مكان آخر؛ فإننا ننعتها بأقذر الألفاظ، فلا نحن تركناها تذهب ولا نحن أعطيناها ما تريد، إذن متى يكن لها القرار، ومتى تشعر أنها تماثله، وليست ملك يمينه او كعروس (ماريونت) تتشابك خيوطها في يده؛ فتضحك وتبكى وترقص وتموت عندما يحرك أصابعه فقط.

- إذن أنتِ تبررين خيانة المرأة؟!

- بالعكس فالمرأة التي تخون زوجها لا يجب أن تربي أبناء أو تنشئ جيلًا؛ لأنها حتمًا ستنشئه مختلًا، وعلى مر السنوات فأغلب القتلة المتسلسلين، الذين أنجبهم ذلك العالم المقفر لم يكونوا سوى تشوهات زمنية، أنجبتها سيدات ساقطات رأى أبناؤها فعلتها؛ فمقتوا كافة النساء مقتًا؛ دفعهم لقتل من تشابهن مع مسخ أمهم.

- إذن فلماذا تدافعين عن تلك السيدة؟

- قد أكون شعرت يومًا بما تقول.

- ماذا، هل تقولين إني لا أعطيك الحب الكافي، وأنكِ تبحثين عنه في رجل آخر، منذ متى وأنتِ تتحدثين إليَّ هكذا ماذا حل بكِ؟!!

- اطمئن فأنا لن أبحث عنه في أخر، فذلك العمل من شيم ضعافي النفوس، ولكنى لا أستطيع كبح جماح ذلك الشعور بالفقد.

- فقد؟ فقد ماذا يا سارة، صارحني بما يجول بخاطرك، أشعر أنني أتحدث لغيرك، هل أنت سارة زوجتي، التي تزوجتها عن حب أطاح بعقول كل من رآنا، أم تحولت لشيء آخر لا أستطيع تبين ملامحه؟!

- لِمَ يعتقد الناس أن المرأة المتزوجة بمجرد أن تنجب، أن كل مشاعرها القلبية قد تحولت لعاطفة أمومة لا غير، لم يظنون أن المرآة كلما كبرت في العمر فإنها تصبح بلا مشاعر، لم يظنون إنها لا تحتاج لتلك الهمهمات الرومانسية والرسائل الصباحية، التي تضفي عليها بريقها الخاص، وتجعل رونقها لا يزبل، لماذا يعتقد العالم أجمع أنها لا تبكي ليلا، وتتساقط دموعها المخزنة تتلمس وجهها شفقة، وكأنها تحاول تعويض ما فُقِد، هل تعلم لماذا تبكي؟

- لا.

- تبكي لأنها تُطحن كل ليلة بين شقي الرحى، فشق منهم هو القلب والآخر هو العقل، فقلبها يأن وعقلها يثور، قلبها يبحث عن ذلك الهيام وعقلها يُذكرها بأنها زوجة وأم، ويَجلد قلبها بسوط من نار، ومع كل ضربة سوط دموع تتساقط، إلى أن تخور قواها وتذهب في ثبات؛ يجعلها تستيقظ من جديد تؤدى دورها، وتنهى واجباتها وتحقق مطالب الجميع، وهي تستجدى منهم بعض الاهتمام، فلا حق لها ولا واجب لهم.

- أنت مخطئة، فكل منا يترجم أبجديات عشقه بالطريقة التي يراها صحيحة، فأنت تترجمينها بالكلمات الرنانة والمشاعر الدافئة، وأنا أترجمها بالعمل والاجتهاد حتى أستطيع أن أوفر لكم حياة كريمة، والأبناء يترجمونها بإحساس الاحتياج الدائم لك، واحتياجاتنا ما هي إلا ترجمه لانعدام حياتنا دونك.

- وأنا، متى أشعر بأني أنثى تستحق الشعور بالحب والاحتواء، متى ارتمى بين ذراعين ضيقين؛ أشعر بينهما بالبراح الذى يترك العنان للروحي المسجونة بين ضلوعي حتى تلامس الفضاء، هل أنا لا أصلح أن

أكون حبيبة؛ يهرع إليها الرجل حبًا وهيامًا، هل لا أستحق أن يتأملني أحدهم وهو يخبرني كم يحبني ويذوب في تفاصيلي عشقًا، هل نضب الحب منى فلم أعد أصلح سوى لتربية أطفالي والاعتناء بهم، دون الحاجة لمن يتلمس وجهى ويخبرني كم أنى جميلة وأستحق حياة أفضل، أنا لا أطلب المستحيلات ولا اتطلع لها، أنا فقط أريد أن أشعر بالحياة أشعر أن قلبي مازال يتخلله الدفء في أكثر ليالي الصقيع برودة، هل أخبرتك من قبل كم أخشى البقاء وحدى، كم ترتعد مفاصلي ويدق قلبي كلما سمعت نقرة هنا أو هناك، هل تعلم أنني أبكى كلما اشتد المطر، وتساقطت زخاته على نافذتي الزجاجية، وعلت أصوات الرياح وأنت لست بجانبي، هل أخبرتك كم من مرة جفاني النوم وأنا أنتظرك بلهفة العاشق فتقابلني أنت ببرود الجراح.

- وهل أنا سيء لتلك الدرجة؟

- على العكس، أنت رجل صالح وحنون؛ وهذا يجعلني أقف هنا ولا أبرح مكاني، لا أستطيع المواصلة ولا أستطيع الانسحاب، أتمزق داخليًا وأخبركم أن كل شيء على ما يرام، لا أستطيع جرحك ولا أستطيع الكذب أكثر من ذلك، أعلم أنك تطمئن بوجودنا بجوارك، ولكنك لا

تشعر بألمى وحديثي الذي أخفيته عنك طوال تلك السنوات، صدقني يا عزيزي لمجرد تخيلي أن أمكث في تلك الحياة سنوات أخرى ولا أبرح مكاني يجعلني أجن، صدقني لقد أوشك انهياري على الحدوث.

- ولكنك تعلمين جيدًا إنني أحبك، ولكن هناك الكثير مما يدعو للقلق بشأنه، فليست الحياة وردية كما ترينها أنت، ولابد أن تتعمقي أكثر من ذلك، وألا تستمرى في أحلام المراهقات تلك.

- وما هذا الشيء الجلي الذي يمحق شعوري بفقدانك؟

- مثل تلك الحياة التي لا تتوقف ولا تنتظر أحد، ولكنها تواصل التقدم ومن يتمهل يُسحق، هل ستكونين سعيدة وأنتِ من المهددين بالانقراض نظرًا لتردى الأوضاع، أعتقد أنه في ذلك الوقت ستكرهينني أكثر من الآن بكثير، وستتأكدين أن تلك الكلمات الفارغة ليست حقيقية، وإنما منبعثة عن خيال خصب وعقل فارغ.

- كالعادة لن أظفر.

- إنها ليست حرب يا سارة، إنها فقط الحياة، فكلنا ندور في فلك الحياة.

- إذن لا تلومني يومًا إذا انجرفت.

- انجرفتِ لماذا؟

- لتلك الظلمة التي تحاصر الكون، فمدارى ومدارك لن يلتقيا، ولن أستطيع أن أترك مداري، وأبعثر كويكباتي وتطلني اللعنات، لذلك سأختار الفضاء الحر الذي يمثل أخاديد عقلي ومخيلاتي؛ لأهيم فيه بحرية وبلا عتاب.

- ما تلك الطلاسم، لا أفهم؟

- يومًا ما ستفهم.

تركته وذهبت لغرفتي وأنا أغلق بابها، وأندس أسفل غطائي أبكى وأبكى كالطفل التائه من أمه، الذى يشعر أنه محل افتراس من الجميع، ولا يجد حضنًا دافئًا يرتمى بداخله، كالعادة كلما ذهبت لأتحدث معه تخونني كلماتي، وأصمت ولا أجد ما أقوله سوى أنني أعددت العشاء، وأطعمت الأطفال؛ وسأذهب لغرفتي لأتركه يتمعن في عمله أكثر، لا أستطيع مواجهته وبالرغم من ساعاتي، التي أقضيها جالسة أمامه صامتةً لا يشعر بي، تدور داخلي صراعات وحروب وأتخيل نفسى وأنا

أصارحه وأواجهه بما يجول بخاطري وعندما أنتهى من مواجهتي الداخلية الصامتة أنصرف لغرفتي كما حدث الآن، فعندما رأيتني في المرآة وأنا أذبل وأشيخ ذهبت إليه وفى قلبي كلمات تصارع بعضها للخروج، ولكن عندما رأيته يسألني ما بي صمت!! نعم صمّت ولم أنطق وفى النهاية أخبرته إن كل شيء على ما يرام، ولذلك هو لم يعد سؤاله، واكتفى بتلك الإجابة، وهو يشيح بنظره عنى وينغمس في عمله، وعندما جلست أمامه أراقبه في صمت؛ أفرغت جميع كلماتي في داخلي، تصيب قلبي ورئتاي حتى أنهيت خطابي، ولم أعد قادرة على التنفس، وتخنقني عبراتي فانصرفت، هكذا أنا كل ليلة وكل دقيقة وكل لحظة ضعف، أفقد خلالها القدرة على الاستمرار، وأعلم أنى عندما أنتهى من بكائي وعويلي؛ سأغسل وجهى و أضع أحمر شفاهي وأذهب لإعداد القهوة المضبوطة له، وأنا أقبل رأسه وأخبره كم أحبه وإن حقًا كل شيء على ما يرام، وأذهب في ثُبات عميق حتى لحظة انهيار أخرى.

تمت

الفهرس

1- ثغر الأندلس المباسم (الأمير فتحى عزام).....05

2- فأر أسور (رولا حسينات).....31

3- وداع صامت (ليلي عمر).....47

4- الضريح (الأمير فتحى عزام).....109

5- أنا وبيسان (أمنة العثمان).....125

6- سري للغاية (سيد طه يوسف).....141

7- اغتراب (الأمير فتحى عزام).....161

8- الحمل الصغير (خلود طلعت).....183

9- سبعة راكب (محمد عبد الله فؤاد).....197

10- إنتقام (أمنة العثمان).....207

11- حالة وفاء (ملك محروس).....221

12- ساقطة (نهى مجدي).....231

13- الفهرس.....249

obeikan.com